مذكرات سجين

الجزء الأول

تحكي قصة سجين رأي
ظل متمسكا برأيه خلال مايربو على ثلاثين سنة

كماتحكي قصة نضال شعب
من أجل بناء دولة مستقلة موحدة وديمقراطية

المؤلف :
ممدو الطيب صو

التاريخ مجموعة وقائع وأحداث ذات صلة وثيقة بالأوضاع
السياسية لمجتمع ما
خلال فترة زمنية محددة وصنعة التاريخ رجال استوعبوا روح
عصرهم وعملوا بمقتضاها، فخلفوا بذلك بصماتهم على المسار التطوري
لتلك المجتمعات عبر النضالات التي خاضوها فرسان للحرية
يقفون في خط النار شموع تحترق لتضيئ الطريق للآخرين
فحق لهؤلاء أن يوصفوا بالأبطال وحق لتجاربهم أن تنقش في ذاكرة الأجيال
كأمثلة تحتذى

كلمة المؤلف

إن هذا العمل المتواضع الذي أضعه بين أيديكم هو مجهود تجميعي لسلسلة من الحلقات التي نشرتها جريدة << الحرية >> ـ التي كنت عضوا في هيئة تحريرها مع عدد من الزملاء ـ تحت ركن:

<< السجين >>.

ونظرا لما رأيته من أهمية وثائقية لمثل هذه الحلقات فقد ارتأيت أن أعيد نشرها في شكل مذكرات شخصية قد تكون مفيدة للباحث في التاريخ السياسي لهذا البلد.

المقدمة

إحدى الوجوه البارزة على مستوى الساحة السياسية الوطنية ... ومن الشخصيات المؤسسة لما كان يعرف بالحركة الوطنية الديمقراطية.

... وارتبط اسم الرجل في بداية تاريخه النضالي بنقابة المعلمين العرب وفيما بعد بجميع القضايا الوطنية ذات العلاقة بالوحدة الوطنية والمساواة الاجتماعية.

ولعل من بين الأمور التي ساعدت في خلق مثل هذه الشخصية بالإضافة إلى القناعات المبدئية الثابتة والجرأة السياسية الفائقة كونه ظل الرجل العام لحركته منذ أن كانت في السرية، مما أكسبه خبرة واسعة في طرق كسب الجماهير وتوعيتها (والقدرة على المناورة السياسية).

يمتاز الرجل بالهدوء واللباقة في المعاملة ، فقلما يلاحظ المرء تقلبا في حركة أمواج هذا البحر الواسع مهما بلغت قوة العواصف!! ولكن مع ذلك تبقى قوة الإرادة والصرامة وصلابة العزم صفات ملازمة له.

ممدو الطيب صو

ولد محمد المصطفى ولد بدر الدين سنة 1940 في ضواحي مقطع لحجار (لبراكنه)

الدراسات:

المحظرة: من سنة 1947 - 1959 ، دراسة في جامعة عين شمس (كلية التربية) 1964 - 1966 .

المدرسة العليا للأساتذة سنة 1970 ثم انقطاع نتيجة للاعتقال 10 يناير 1971، التحق ثانيا بنفس المدرسة سنة 1972 ثم الانقطاع بسبب الاعتقال من 1972 إلى 1974، التحق للمرة الثالثة بنفس المدرسة سنة 1975 ليتخرج منها سنة 1977 بشهادة مفتش مساعد في التعليم الأساسي.

السيرة النقابيةوالسياسية:

الانتماء لنقابة المعلمين العرب سنة 1960 كعضو ثم كعضو في مكتبها التنفيذي سنة 1961 فنقيبا للمعلمين من 1966 إلى 1970 .

الانتماء لحركة القوميين العرب سنة 1965 في القاهرة ثم الانتماء للحركة الوطنية الديمقراطية كعضو مؤسس وعضو في قيادتها المركزية في إبريل 1968، ثم الانتماء للجبهة الديمقراطية الموحدة من أجل التغيير (افديك) سنة 1991 فاتحاد القوى الديمقراطية المتأسس في نفس السنة والذي عرف فيما بعد بتقدم/ /ع . ج ، حيث كان مسؤوله السياسي ثم أمينا عاما مساعدا حتى عقد مؤتمره العادي (أغسطس 1998 حيث انتخب أمينا عاما لهذا الحزب.

السجون :

دخل السجن لأول مرة في 22 يوليو 1968 إثر أحداث ازويرات وبعد أن أصدر المكتب التنفيذي لنقابة المعلمين العرب بيانا يشجب تلك الأحداث.

عاد إلى السجن مرة ثانية من 10 يناير 1971 إلى 18 مايو 19 بعد مشاركته في مهرجان نقابي يستنكر توقيف المؤتمرات النقابية من طرف الحكومة.

سجن للمرة الثالثة من 07 نوفمبر 1972 إلى 07 مارس 1974 أثناء التحركات الطلابية التي عرفتها البلاد في ذلك الصيف احتجاجا على مصادرة الحريات النقابية والسياسية و التجنيد الإجباري و الطرد الجماعي للتلاميذ والطلاب المحتجين.

اعتقل للمرة الرابعة يوم 05 يناير 91 وهو يوم الإعلان عن تأسيس الجبهة الديمقراطية الموحدة من أجل التغيير التي كانت أول حزب معارض لنظام ولد الطايع يعلن عنه وكان أحد مؤسسيها وعضوا في قيادتها، وقد تنقل أثناء ذلك السجن بين ولاتة في أقصى شرقي البلاد وبومديد في وسط البلاد.

أعيد إلى السجن للمرة الخامسة يوم 23 يناير 1995 أثناء الأحداث المعروفة بأحداث الخبز وأرسل إلى تشيت في أقصى الشمال الشرقي من البلاد.

الحلقة الأولى

دخل السياسة من باب النقابة ، حيث شارك في تأسيس نقابة المعلمين العرب سنة 1960 و انتخب في مكتبها التنفيذي عام 1961 قبل أن يصبح نقيبا للمعلمين عام 1966 إلى غاية 1969 ، في هذه المرحلة كانت إهتماماته قومية، إذ إنتمى إلى مجموعة تضم : محمدن ولد إشدو ، أحمد ولد عبد القادر ، المرحوم سيد محمد ولد السوميدع و محمدو الناجي ... إلخ .

و قد لعبت هذه النقابة دورا بارزا في ترقية و ترسيم اللغة العربية و تحسين أحوال العاملين بها ، غير أن هذا الطرح اصطدم أحيانا بمشاعر الأقليات القومية ، مما كان له أثر سلبي في أحداث 1966 التي تمثل دور المصطفى ولد بدر الدين فيها بالجانب التحريضي إذ كان أيامها طالبا في القاهرة فبعث من هناك بقصيدة مطلعها :

لو يشبع الشعر حاجات المساكين بعثت منه لقومي بالدواوين

إلى أن يقول :

شنقيط تغرق و الأخطار تدهمها تشكو إلى بسطاء العقل و الدين
بائوا يغطون كالخرفان في بلـه و الشر يقرب من حين إلى حـين
ما قام يدفع عنها غير منتفع با لـــدين يدفعه حب ا لقرابين
إن يدع للوطن الغالي يقل هلعا الـدين الدين يا للـدين وا ديني
أو يدع للدين يحميه يقل جزعا للـدين رب سيحـميه و يحميني

إلى أن قال:

أو كنت أبعث بالمظروف قنبلة فيها من الموت ما يكفي لتسعين

ولكن بعد عودته من مصر أجرت المجموعة مراجعة مؤلمة على ضوء تجربة 66 محليا و حرب الأيام الستة من سنة 1967 إقليميا ، و على أساس هذه المراجعة قررت المجموعة

في اجتماع عقد بتكوماج (القرية الواقعة على بعد حوالي 50 كلم جنوب كيهيدي) حضره إلى جانبه سيدي محمد ولد السميدع، محمدن ولد إشدو ، أحمدو ولد عبد القادر و محمد عين ولداحمد الهادي بتاريخ 1968/04/04. وكان هذا الاجتماع هو الاجتماع التأسيسي للحركة الوطنية الديمقراطية التي كانت تدعى آنذاك " الحركة الديمقراطية الوطنية " وقرروا العدول عن الطرح القومي للقضايا الوطنية ، إ ذ أرتأت أن هذا الطرح لا ينسجم مع حقائق الشعب الموريتاني المتعدد الأعراق ، ومن ثم قررت انتهاج الطرح الديموقراطي (الطبقي) الذي ينظر إلى التناقض الرئيسي على أنه تناقض بين الاستعمار و حلفاء ه من جهة و الجماهير (الموريتانية المكونة من مختلف القوميات) من جهة أخرى.

وبهذا تكون أطروحة الاستقلال والدفاع عن الثقافة الوطنية ـ بمافيها ثقافة الأقليات القومية مستجيبة لمصالح ومطامح غالبية المواطنين الموريتانيين ... هكذا قررت المجموعة تكوين حركة من مختلف القوميات، إذ رأت أن حركة من قومية واحدة ـ تحمل مطالب قومية واحدة لن تؤدي إلا إلى مثل أحداث 66 ، وقد جاءت أحداث ازويرات سنة 68 التي كانت هذه المجموعة على صلة وثيقة بها عبر ممثلها سيدي محمد ولد السميدع لتدعم توجههم الجديد، هذه الأحداث التي يعتبرها الكثيرون بداية النشأة الفعلية للحركة الوطنية الديمقراطية.

يقول السجين:

أول تجربة لي في السجن كانت صباح يوم 22 يوليو 1968 حوالي الساعة الثامنة حينما دخل إلى بيتي ـ الوا قع في الحي آ A شمال ثانوية البنات ـ المفوض المركزي "سيدينا ولد الحاج ابراهيم" وطلب مني مرافقته إلى مكتب قاضي التحقيق الذي كان يدعى " كن الحسين " وفي مكتب قاضي التحقيق أخبرت بأ نني متهم بتوزيع منشورين أحدهما يحمل توقيع المكتب التنفيذي لنقابة المعلمين العرب والآخر لايحمل أي توقيع، ويتناولان أحداث ازويرات... بسرعة أجبته عن مسؤوليتي عن ما يسميه هومنشورا وأسميه أنا بيانا لمكتب

شرعي لنقابة معترف بها هي نقابة المعلمين العرب التي كنت نقيبها آن ذاك (أمينها العام) ولكن القاضي رد علي وكأنه يقرأ نصا مكتوبـــا.

" إنك متهم بتوزيع منشورات غير مرخصة بالاشتراك مع آخرين، وذلك منذ حوالي شهرين ، وعلى كل حال منذ أقل من ثلاث سنوات' ؛ وعليه فإنني أعلن لك أنـك رهـــن الاعتقال ابتداء من الآن " ... بعد إجراءات قصيرة (السؤال عن حالتي العائلية وعما إذاكنت سأوكل محاميا) كنت في طريقي إلى سجن لكصر ، كان عبارة عن مبنى مكون من ثلاث غرف ضيقة ، وكنت و زملائي الخمسة: محمد المختار كاكيه، أحمد بيلا باه، محمدو الناجي و أحمد ولد عبد القادر الذي قدم نفسه إلى قاضي التحقيق دون استدعاء تضامنا مع زملائه في المكتب التنفيذي للنقابة في غرفة محاذية لمرحاض تهب منه على الدوام روائح كريهة ...كان الزمن صيفا وكانت الحرارة والرطوبة شديدتين في انواكشوط.

وبعد يومين من مقامنا في السجن دخل علينا نفس المفوض ليرافقني إلى المنزل وكان ذلك حوالي التاسعة صباحا وأجرى تفتيشا دقيقا لغرفة نومي وكانت آخر جملة ضمنها محضره قوله: " لم نعثر على أي عنصر ينير طريقنا ".

لقد ألح علي زملائي ، و خصوصا محمدو الناجي، بعد حوالي سبعة أيام من مقامنا في هذا السجن أن نقوم بعمل ما للفت الأنظار إلى قضيتنا و التعبير عن احتجاجنا على هذه الوضعية ... بعد دراسة للأشكال النضالية التي يمكن أن نقوم بها، وبالتشاور مع زمـــلائنا في النقابة - الذين كنا على اتصال غير مباشر بهم - قمنا باضراب عن الطعام لمدة سبعة أيام انتهينا بعدها إلى المستشفى في حالة صحية سيئة ... وقد وضعنا في جناح خاص من هذاالمستشفى الذي كان أيامها أقرب إلى الفندق منه إلى المستشفى نظرا لنظافته وجودة الخدمات فيه ... أذكر أننا كنا تحت إشراف طبيب فرنسي يمر علينا كل يوم سائلا عن صحتنا وعن مانحتاجه من علاج .

وذات مرة أجابه أحمدو ولد عبد القادربقوله : إننا اليوم بحاجة إلى أقراص لاسترجاع حريتنا " فأجابه الطبيب ضاحكا : " تلك الأقراص لاتوجد في هذه البلاد" .

وبعد أن قضينا عدة أيام في هذا المستشفى وضعت في طائرة متوجهة إلى كيهيدي حيث أودعت السجن هناك لمدة شهرين كاملين، علمت فيمابعد بأن زملائي قدوزعوا على النحو التالي:

- أحمدو ولد عبد القادر سجن كيفه، محمدو الناجي سجن بوكي، أما محمد المختار كاكيه وأحمد بيلاباه فقد بقيا في انواكشوط مع ظروف مخففة (خصوصا بالنسبة لكاكيه)

في سجن كيهيدي استقبلني قائد الحرس محمد فال ولد ببكر سير وزوجته بحفاوة بالغة، حيث كنت طوال شهرين موضع تكريم لم يتوقف يوما واحدا، غير أني كنت منقطعا عن العالم الخارجي ، فوسيلة الاتصال الوحيدة كانت الإذاعة، وقد منعت حتى من زيارة المستشفى، وهناك حادثة غريبة هي أنني أصبت بالامساك المزمن وطلبت من قائد الحرس أن يصحبني إلى المستشفى فأرسل معي أحد أعوانه ، وعندما وصلنا إلى نواحي مبنى الولاية شاهدني صدفة الوالي آنذاك، وهو الآن رئيس أحد الأحزاب الوطنية، فبعث إلي بفرقة من الحرس لتعيدني أدراجي بصفتي شخصا لاحق له في العلاج لأني سجين معارض ... كنت أتابع عن طريق الإذاعة وعبر وسائل أخرى وبسرور بالغ أنباء حركات التضامن معي ومع زملائي في مكتب نقابة المعلمين العرب، فقد اجتمع عدد كبير من المعلمين في انواكشوط وقرروا توكيل محام سينغالي يدعى " بابكر انك" دفعوا له مبلغا ماليا كبيرا، كما اجتمع المعلمون في كل من كيفه ولعيون وأبي تلميت ومقطع لحجار للتعبير عن تضامنهم معنا ، وفي دمشق قام اتحاد الطلاب الموريتانيين بقيادة المحجوب ولد بيه بتنظيم حملة تضامن ، وأثناء زيارة قام بها المختار ولد داداه إلى دمشق استقبلوه بمظاهرات وزعوا خلالها بيانا ضد سياسته مطالبين بتحرير المعتقلين النقابيين ، وفي عمان أصدر مكتب نقابة المحامين العرب قرارا يطالب الحكومة بإطلاق سراح المعتقلين، وقد أذيع هذاالبيان في النشرات الرئيسية لإذاعة صوت أمريكا وإذاعة لندن.

وفي انواكشوط قامت مجموعة من الشباب بتحرير منشور يندد باعتقالنا، إلا أن المخابرات استطاعت مصادرته وهو تحت السحب واعتقلت لهذا السبب مريم بنت لحويج ومحمد الأمين ولد يحي وآخرون.

وقد استاءت الحكومة لهذه التحركات ، فبعد اجتماع المكتب السياسي لحزب الشعب الموريتاني منتصف أغسطس 1968 صدر بيان يندد بما أسماه " حملة تحركات ومنشورات معادية للوطن " إلا أن القرار الذي لم يعلن عنه هو تقديمنا إلى المحاكمة قبل نهاية العطلة الدراسية خوفا من تحركات مدرسية محتملة.

وبعد يومين من صدور هذا البيان وضعت في طائرة متوجهة إلى انواكشوط، وفي المطار استقبلتني حافلة للشرطة واتجهت بي إلى المفوضية المركزية حيث وجدت أمامي كلا من : أحمد ولد عبد القادر ومحمد الناجي وأحمد محمود ولد خيري، وقد رأيت في إحدى زوايا المفوضية مريم بنت لحويج ومحمد الأمين ولد يحي وجماعتهما وآثار التعذيب بادية على أجسادهم.

وفي المفوضية كانت زوجتي أول من زارنا... نقلنا إلى قيادة الدرك بالعاصمة حيث وضعنا في غرفة شديدة الضيق بدون نوافذ ... كان الزمن بداية أكتوبر حيث الرطوبة و الحرارة شديدتان إلى درجة أضطررنا معها إلى خلع ملابسنا ما عدا الضروري منها ، و بعد يوم كامل ونحن في هذه الوضعية و حوالي الساعة السادسة مساء سمعنا صرير المفتاح و إذا بالباب يفتح بعنف و يطل منه شاب قوي البنية حليق الرأس يرتدي بزة دركي ، طلب منا الخروج إلى الساحة لإستنشاق الهواء النقي و بسرعة اختفى و عاد يحمل أدوات الشاي ثم خاطبني باسمي قائلا : أعرف أنك تجهلني ولكني أعرفك و لي معك قصة سأحكيها لك أثناء الشاي .

جلس الدركي يقدم كؤوس الشاي و هو لا يتوقف عن الحديث غير مبال بموقف رؤسائه ، و من بين ما قال : " لقد كنت عرضة لتحويل تعسفي عندما كنت معلم فرنسية في كيفة، و تحت تأثير وطأة التعسف تذكرت أنني سمعت من زملائي " معلمي اللغة

العربية " أن هناك نقابيا في انواكشوط شديد الغيرة على حقوق المعلمين فذهبت إلى البريد بعد أن أخذت العنوان و أرسلت إليك برقية أطلب فيها تدخلك و بعد يومين وصلت إلى السفينة رسالة بإلغاء تحويلي ، كما وصلتني في نفس اليوم برقية منك تطمئنني بالبقاء في مكاني ، و علق ضاحكا : أ رأيت أن ذلك لم يكن عبثا ... هكذا بتنا في ضيافة مناضل نقابي في ثياب سجان، و في الصباح الباكر وصلنا إلى المحكمة لنقف في قفص الاتهام بقصر العدالة القديم ... كانت القاعة تتسع لحوالي ما ئتي مشاهد و كان القاضي و يدعى تانجا يوسف جالسا بين رجلين بالإضافة إلى وكيل الجمهورية الذي كان وقتها عثمان سيد أحمد البسع (على ما أعتقد) و لم تكن قاعة المحكمة مليئة بالمشاهدين و لم أتعرف على كثير من أصدقائنا داخلها .

كانت لغة القاضي فرنسية لم نتمكن من فهمها بشكل دقيق و كان المترجم و يدعى على ما أعتقد عبد القادر جكتى – سيئ الترجمة يتكلم الحسانية بصعوبة ، و أتذكر أنني عندما اعترضت على طريقته في الترجمة استشاط غيظا ، و مما قال " أنا رجل محلف أشغل هذه الوظيفة منذ ثلاثين سنة " أما القاضي فقد بدأ منذ البداية هادئا كأنما يقوم بعمل روتيني لا معنى له ، و أما نحن فلم نتخذ خطة دفاع جماعي و لا فردي و لم ننسق مع محامينا و لم نكن واثقين من بعضنا ، إذ ظهرت دلائل التراجع على واحد منا على الأقل ، أما بقية الجماعة فكانت متضامنة .

بدأت المحاكمة إذن بقراءة نفس الاتهامات التي قدمها قاضي التحقيق ، و هي توزيع منشورات غير مرخصة ، و تمثل دفاعنا في توضيح أن بيان نقابة المعلمين العرب لا يمكن إعتباره منشورا ، سألنا القاضي عن كيفية توزيع هذا البيان فأجبناه بأننا أرسلنا منه نسخا إلى جميع فروع النقابة في الداخل بالإضافة إلى نسخة للحكومة و أخرى إلى اتحاد العمال الموريتانيين الذي نحن عضو فيه ، و استنتج القاضي " إذن لقد وزعتموه في جميع البلاد "

و بدون أن ينسحب للمداولات أعلن أنه حكم علينا بالسجن المغلق لمدة ثلاثة أشهر (الفترة التي قضيناها في السجن) .

و عند خروجنا من السجن وجدنا قرارا بطردنا جميعا من الوظيفة العمومية إبتداء من تاريخ إعتقالنا و لمدة ثلاثة أشهر ، و تم تحويلنا من العاصمة إلى أماكن نائية من البلاد : محمد الناجي حول إلى بوصطيلة ، أحمدو ولد عبد القادر حول إلى أجار و حولت أنا إلى غابو و حول أحمدو بيلا باه إلى كيفة ، أما الزميلا ن الباقيان فلم يتعرضا للإبعاد .

تلك هي تجربتي الأولى في السجن ... و كانت أول تجربة لحركة المعارضة بعد أن خبت حركة النهضة و حركة النعمة ، و كانت تجربة جديدة فلم أكن أعرف ماذا يعنيه السجن و لم أكن أهتم بأن أسجن أو لا أسجن ، كنت أهتم فقط بأن أقوم بما ينبغي أن أقوم به . فقد يعود هذا إلى الحماس أو إلى انعدام التجربة أو طبيعة المرحلة (حركات التحرير في فلسطين و فيتنام ...إلخ) و من أهم الخواطر التي كانت تنتا بني في السجن الخوف على مصير رفاقي، الخوف من أن يسجنوا أو يضعفوا أو يخونوا ، و كان لاعتقال مريم بنت لحويج وقع خاص علي، خاصة حينما رأيت آثار التعذيب بادية عليها ، تخوفت من أن أكون مشاركا في المسؤولية عن المتاعب التي تعرضت لها، و أتساءل الآن هل كانت رؤيتي لها محض صدفة أو محاولة تأ ثير ؟

و كخلاصة عامة فإن أفضل خبر يتلقاه السجين هو إستمرار قضيته ، و أسوأ خبر يتلقاه هو خسارة قضيته و خيانة زملاءه ،

الحلقة الثانية

كانت سنة 69– 70 فترة تحضير نشط للصدام الشهير بين حركة المعارضة المعروفة بالحركة الوطنية الديموقراطية و حكم المختار ولد داداه الذي انتهى لتوه من إحتواء التعددية في المجال السياسي و إعلانه عن إدماج ا تحاد العمال الموريتانيين في مؤتمر حزب الشعب المنعقد في تجكجة سنة 69 هذا في حين عملت المعارضة من ناحيتها على توحيد الحركة الطلابية التي كانت منقسمة بين ما عرف بالاتحاد الوطني للطلبة الموريتانيين (UNEMAU) المكون من الطلبة العرب فقط و الرابطة الديموقراطية للطلبة و المتدربين الموريتانيين (AESM) المكونة من الزنوج الأفارقة . كما أنجزت الوحدة بين نقابة المعلمين العرب (الناطقين باللغة العربية) و النقابة الوطنية للمعلمين (المتفرنسين ، و كانت أكثريتهم زنوجا) ، و في هذا السياق و في خضم النضال المدرسي تم الاندماج بين التلاميذ الأفارقة الزنوج و التلاميذ العرب ضمن تنظيم عرف باسم " اللجنة المؤقتة للعمل المدرسي و الثانوي (CPAS)، كل ذلك بهدف إفشال عملية احتواء التعددية في المجال النقابي وصولا إلى ضرب الأحادية في جميع المجالات بالإضافة إلى أهداف أبعد،وهكذا جاءت سنة 71 كما لو كانت سنة المواجهة بين الطرفين(النظام والمعارضة)، فاحتدم الصراع بين الاتحاد الجديد والحكومة في حين بدأت التحركات المدرسية في كل من روصو وأطار وبتلميت، وفي الوقت ذاته أخذ الاتحاد الجديد للطلاب يصدر دورية تدعى " الكفاح"(1) من دكار يندد فيها بسياسات النظام.

كان رد الحكومة على جميع هذه التحركات المعارضة يتمثل من الناحية السياسية في محاولة إدماج النقابة في حزب الشعب الموريتاني، وهكذا شكلت لجنة التصالح النقابي برئاسة أحمد ولد محمد صالح وبعضوية صال عبد العزيز ويوسف كويتا وبعض النقابيين، وكانت طريقتها تتمثل في عقد مؤتمرات للنقابات المهنية يتبعها مؤتمر لاتحاد العمال

الموريتانيين ، وكانت الحكومة في البداية تسعى إلى تحقيق الاندماج بالطريقة الديمقراطية، إذكانت تتصور أن يامكانهاالحصول في تلك المؤتمرات على أكثرية مؤيدة للاندماج طواعية، غير أن الأمور جرت على عكس ذلك،حيث قررت غالبية النقابات رفض الاندماج ورفض القيادات الموالية للحكومة، مما اضطر الحكومة في النهاية إلى توقيف المؤتمرات الباقية وتجميد النشاط النقابي كله، ومن أهم المؤتمرات التي رفضت الاندماج مؤتمر نقابة المعلمين الموحدة لكافة المعلمين، إذ قرر المؤتمر وبأغلبية ساحقة رفض الاندماج في الحزب وطالب ولأول مرة بكتابة وتطوير لغات الأقليات القومية بالإضافة إلى اللغة العربية التي كانت رسمية وذلك إبعادا لمنافسة اللغة الفرنسية للغات الوطنية.

يقول السجين:

عندما غادرت انواكشوط متوجها إلى غابو (قرية تقع على الحدود الموريتانية السينغالية) في نهاية أكتوبر 68 كان لدي شعور بأن النقابة انتهت وأن تضحياتنا قد ذهبت أدراج الرياح.ومضت الأشهر الأولى في القرية كما لوكان الأمر كذلك، غير أن المؤتمر العادي لاتحاد العمال الموريتانيين - بقيادة افال مالك – والذي لم أحضره والمنعقد في نهاية فبراير 69 كان مناسبة لظهور المعارضة النقابية، فقد طلب سك دمبا ، أحد المعلمين النقابيين، الوقوف دقيقة صمت ترحما على شهداء ازويرات، ولبى المؤتمرون ذلك الطلب بسرعة، ومنذ تلك اللحظة نشب شقاق عنيف بين القيادة السابقة والجناح الجديد، وقد أدى هذا الشقاق إلى ولادة اتحادين للعمال الموريتانيين: أحدهما يحمل الاسم القديم و الثاني يحمل اسم" اتحاد العمال الجديد (UTM RENOUVAU)، إلا أن الحكومة لم تعترف بالاتحاد الجديد الذي كانت نقابة المعلمين العرب من أكبر مكوناته حيث وفرت له مكاتبها وإمكاناتها.

وفي بداية يناير 71 قررت القيادات النقابية المنتظمة فيما عرف " باللجنة الإدارية " عقد مهرجان للمطالبة باستئناف المؤتمرات النقابية ، وقد حضرت هذا المهرجان كمناضل

نقابي عادي ولم أكن ألعب أي دور قيادي في النقابة وكنت قد قدمت لتوي من غابو لألتحق بالمدرسة العليا للأساتذة التي نجحت في مسابقتها.

وفي يوم الأحد الموافق 10 فبراير 71 بدأ المهرجان - الذي كانت اللجنة الإدارية قد طلبت الترخيص له لدى والي انواكشوط آنذاك وهو سيد أحمد لخيبب، – في الساحة الواقعة غربي ثانوية البنات - بكلمة ألقاها با محمود وقام بترجمتها إلى الحسانية اباه ولد حديت، كانت فرق مكافحة الشغب المدججة بالسلاح محيطة بالمكان من جميع الجهات، وبدون سابق إنذار هجمت على المجتمعين - وغالبيتهم جلوس - بالهراوات والقنابل المسيلة للدموع، وعندما انقشع الدخان وجدت نفسي واقفا إلى جانب بامحمود الذي مايزال واقفا في المكان الذي كان يخطب فيه محاطين بأكوام النعال التي لم يجد أصحابها الوقت الكافي لاصطحابها.

...عند الساعة الواحدة من زوال يوم 11 يناير 1971 دخل المنزل الذي اعتقلت فيه منذ ثلاث سنوات شرطيان أحدهما يدعى سيدي ولد الناه والثاني محمد سالم ولد المخيطرات وطلبا مني مرافقتهما إلى المفوضية المركزية وكانت حافلة الشرطة في انتظاري عند الباب، وبدلا من أن تتوجه إلى المفوضية المركزية توجهت إلى الميناء، وفي الطريق سألني أحد الشرطيين قائلا: مارأيك في هذه الموجة الجديدة من الاعتقالات؟ عندها عرفت أن ثمت اعتقالات أخرى ... توقفت السيارة أمام مفوضية مرفيا انواكشوط، كان المفوض في استقبالي وقادني إلى قاعة فسيحة نسبيا خالية من النوافذ شديدة الرطوبة والبرودةلأن الفصل كان شتاء، وهناك التحق بي كل من: محمدو الناجي وبا محمود وآخرون.وحوالي الساعة الثامنة صباحا تم نقلنا إلى قيادة الدرك حيث وضعنا في خيام عسكرية نصبت داخل المبنى لأن عددنا قد تجاوز العشرين وكان هذا العدد يزداد كل خمس دقائق بالقادمين الجدد، وقد شملت الاعتقالات جميع الأمناء العامين للنقابات المهنية المنضوين تحت لواء اتحاد العمال

الجديد - ومن بينهم: كن طاها، محمذن ولد باكا، جوف إبراهيما، اباه ولد حمديت وبا عبدول ...إلخ - بالإضافة إلى بعض الأطر النقابية الناشطة (محمد سالم ولد حي،محمدو الناجي وصال حاميدو ...إلخ).

بدأ التحقيق معنا حوالي الساعة الثالثة صباحا وكان يدور حول المهرجان السالف الذكر، كان بامحمود أول من استدعي إلى التحقيق فقام بالتحقيق معه قائد الدرك آنذاك فياه ولد المعيوف وكنت الثاني حيث تولى التحقيق معي قائد الدرك المساعد جا آمادو ممدو، لم يكن المحقق يعرف جيدا الأشياء التي يجب أن يسألني عنها واكتفى بسؤالي عن المهرجان : من دعا إليه ؟ وما هو هدفه ؟ لم يتجاوز المحضر نصف صفحة لكن المحقق عندما حمل الردود إلى فياه غضب عليه وقال: يجب أن يعطينا أسماء الذين دبروا هذا المهرجان والأماكن التي اجتمعوا فيهاومواقيت اجتماعاتهم والتنظيم السري الذي ينتمون إليه وكيف كانوا يقسمون الأدوار بينهم وما هي الخطة التي كانوا ينوون اتباعها للإطاحة بالحكم؟.

عاد المحقق إذن بلهجة مختلفة وصار يهدد بالتعذيب إذا لم أعط أجوبة كافية وأكشف له عن خيوط المؤامرة ... عندها تغير سلوكي أنا أيضا وكانت إجابتي الوحيدة ، ليس عندي ما أضيفه. وذات مرة ذهب إلى فياه شاكيا وجاء هذا الأخير مهددا ومتوعدا ومما قاله: " إنكم كنتم تريدون الإطاحة بالحكومة، إن الحكومة قوية وسوف ترون " ثم قال ماذا تضيف ؟ أجبته بهدوء، ليس لدي ما أضيفه ؛ فاختفى وهو يكرر سوف ترى سوف ترى ... وكنت أسمعه يهدد با محمود في الغرفة الموالية وبا محمود يتكلم بصوت مرتفع لكنني لم أتبين مايقول،وقد انتهت الجلسة الأولى قبل الفجر بقليل، وعندما عدت إلى الخيام كان الجميع مستيقظين في انتظارنا وقد تجمعوا من حولي وأنا أسرد عليهم وقائع التحقيق، كانوا مرتاحين للردود، لكن التهديد بالتعذيب كان مثار قلق الجميع، وفي الليلة التالية تواصل التحقيق مع البقية وبدأت ممارسة التعذيب مع كل من : محمد سالم ولد حي وجوف إبراهيما واباه ولد حمديت، وكان الثلاثة أعضاء في لجنة تدعى لجنة العمل النقابي ... بقينا

حوالي أسبوع لدى قيادة الدرك نعيش على أعصابنا خصوصا عندما كنا ننتظر عودة زملائنا من جلسات التعذيب.

انتشرت أنباء التعذيب في العاصمة وأخذ أصدقاءنا والمثقفون بصفة عامة يتهيؤون للاحتجاج على ظروف الاعتقال ، في هذا الجو كتب أحمدوولد عبد القادر القصيدة المشهورة " **ليلة عند الدرك** ":

قالوا له ماذتضيف ؟ لاتخف عنا أي شيء
فالنار والكرباج ينتزعان من رأس السجين مالايريد
وتحلقوا من حوله مثل الكواسر والوحوش
يتكالبون على انتزاع ثيابه عن جلده
سيطول هذا الليل إن لم تعترف؛
بالأمس قدت مظاهرات لم تكن لولا عنادك وانصياعك للفساد
... إلخ.

كتبت جماعة من الإطارات العليا في الدولة ، من بينهم على سبيل المثال: محمذن ولد باباه، أحمدو ولد عبد الله (مستشار لدى الأمم المتحدة حاليا)، جنك بوبو فاربا وسيدي ولد الشيخ عبد الله ، رسالة إلى رئيس الجمهورية نددوا فيها بممارسة التعذيب والاعتقالات التعسفية، ورد عليهم رئيس الجمهورية برسالة نفى فيها ممارسة التعذيب وأعلن أنه مادام رئيسا للجمهورية الإسلامية الموريتانية فلن يمارس فيها التعذيب، كنا نضحك ونحن نقرأ هذه الرسالة خاصة أن آثار التعذيب مازالت بادية على أجسادنا.

كان النوم قليلا وكان مؤنسنا الوحيد هو الشاي ... كنا نجتمع حول زملائنا عندما يعودون من جلسات التحقيق فيسردون لنا وقائع التحقيق وحركات المحققين وأصواتهم وأدوات وأشكال التعذيب، بالإضافة إلى الأسئلة والأجوبة التي يدلون بها ... كنا في بعض الأحيان نضحك كثيرا فقد كان محمذن ولد باكا يحدثنا عن وقائع التحقيق

معه حين هدده المحقق بالضرب، فرد عليه بصوت مرتفع، إنك لاتستطيع أن تعذبني؛ فقال المحقق: لماذا ؟ فرد عليه؛ " لأن جسمي ضعيف".انتهى التحقيق على مستوى قيادة الدرك بتاريخ 19 يناير 1971 وتم تحويلنا إلى السجن المدني بانواكشوط.

كان التحويل إلى السجن بمثابة تحرير لنا بالمقارنة مع الأيام التي قضيناها في قيادة الدرك، وكان الفرق بين السجن الجديد في العاصمة وبين سجن لكصر – الذي كنت قد سجنت فيه منذ ثلاث سنوات - كبيرا، فهنا قاعات فسيحة بدل القاعات الضيقة هناك، وهنا الماء والكهرباء، بالإضافة إلى دورة المياه المزودة بالماء وممرات للحركة وممارسة الرياضة.

أبلغنا بالتهمة الموجهة إلينا بعد دخولنا السجن بعدة أيام وكانت تتلخص في:

– عقد تجمع غير مشروع

– الانضمام إلى منظمة محظورة

وهكذا بدأنا نهيئ الدفاع وكان ذلك على جبهتين: الجبهة الأولى من داخل السجن وتمثلت أولا في إعداد وثيقة تشرح وجهة نظرنا حول الوقائع المنسوبة إلينا، وقد تم إعداد هذه الوثيقة باللغتين العربية والفرنسية، وكانت تحت عنوان " مساهمة في الحقيقة " نددنا فيها بالتعذيب الذي مورس ضد بعض زملائنا، وقمنا بتنظيم إضراب عن الطعام دام أسبوعا كاملا ولم ينته إلا بعد تلقي تعهدات بتحديد موعد المحاكمة. أما الجبهة الثانية فتمثلت في توكيل محامين من أفضل المحامين في البلد،أقمنا بالسجن المدني في انواكشوط طوال أربعة أشهر كنا خلالها على صلة دائمة بذوينا.

وفي تلك الأثناء نظمت حركة إضراب لمساندة المعتقلين شارك فيها عدد غير كبير من العمال والموظفين ولكن إضرابهم كان له تأثير كبير، كما نظمت حركات احتجاج عديدة من طرف عائلات السجناء، و قام التلاميذ في تلك الفترة بإضراب شمل جميع الثانويات والإعداديات - لدعم مطالبهم المدرسية - أدى في النهاية إلى إغلاق المدارس، وفي تلك الأثناء قام الرئيس الفرنسي " جورج بومبيدو " بزيارة إلى موريتانيا نظم الشباب

حركة مضادة لها فقرروا إلقاء بيضة على الرئيس الفرنسي وهو يستعرض الجماهير، وقد نجح أحد الشباب في الوصول إليه وإلقاء البيضة التي انفجرت أمام كاميرات مصوري الصحافة الفرنسية، وقد أحدثت هذه العملية ضجة كبيرة في الصحافة الفرنسية، فعلى سبيل المثال نشرت جريدة "لكنار آنشيني " الفرنسية الساخرة كاريكاتيرا لدجاجة وهي تبيض، وعلقت على الكاريكاتير بقولها: " هذه هي الدجاجة التي باضت البيضة التي لطخت ثياب ابومبيدو في انواكشوط " ... كان هذا الحادث إذن مناسبة لتسليط الأضواء على الحالة السياسية في البلاد بما في ذلك وجود معتقلين سياسيين .

التحق بنا في السجن المركزي لمرابط ولد حمديت المتهم بإلقاء البيضة كما التحق بنا محمدن ولد إشدو المتهم بتدبير الإضرابات التي شنها العمال . كان لقدوم الإثنين وقع مريح علينا ، فقد كان لمرابط ولد حمديت يضحكنا كثيرا بسرده وقائع التحقيق معه حول البيضة ، قال لنا مثلا أنهم عندما سألوه عن من ألقى البيضة رد عليهم " ألقيتها أنا ، فقالو له : ماهي المنظمة التي كلفتك بإلقائها ؟ فأجابهم : هل رأيتم منظمة برنامجها إلقاء البيض؟ كانوا يعذبونه و ذات مرة طلب منهم أن يوقفوا عنه التعذيب و أن يعدوا له شرابا و طعاما و سيعطيهم ما طلبوه من معلومات ، ففعلوا ، و بعد أن أرتاح سألوه فرد ، " الحقيقة هي أني أخذت خمسة أواق و اشتريت بيضة من عند أحد اللبنانيين و انتظرت بين صفوف المستقبلين و حين واجهني " ابوميدو" ألقيتها عليه لأستمتع برؤية صفارها على بذلته الزاهية ، أما ولد إشدو فقد كان على اطلاع واسع بمجريات النضال التضامني مع المعتقلين و قد حدثنا عنها بإسهاب ، كما نقل إلينا الجانب الأدبي من النضال و الذي تمثل في كثير من الأشعار الشعبية و الفصيحة .

تم تقديمنا إلى المحاكمة بتاريخ 18/ مايو / 1971 و قد قام بالدفاع عنا لفيف من المحامين من بينهم : ذ/ أحمد كلي ، ذ/ أوكو و ذ/ لبناي يدعى حيني بالإضافة إلى محام فرنسي موفد من طرف اتحاد المحامين الفرنسيين و كان الإختلاف كبيرا بين هذه المحاكمة و محاكمة 68 ، ففي هذه المرة كان دفاعنا منظما ، و كان التنسيق بيننا و المحامين قويا ، هذا

من ناحية، و من ناحية أخرى كانت المحكمة تتشكل من قاض فرنسي يدعى " كاز" و كان وكيل الجمهورية هو نفسه عثمان سيد أحمد اليسع ، إلا أنه في هذه المرة حاول اتباع المسطرة القضائية من حيث الإدلاء بالوثائق و الشهود لإثبات التهمة ، غير أن الدفاع كان أقوى حجة من الاتهام لأن الاتهام كان يعتمد على رسالة مزعومة وجهها والي انواكشوط تحت رقم 001 إلى اللجنة الإدارية للنقابة يخبرها بمنع الإجتماع ، و الدليل الثاني شاهد في شخص المفوض المركزي بانواكشوط (صال جبريل) و قد ادعى بأنه أبلغ أحد النقابيين بمنع الاجتماع عند ما كانا خارجين من قاعة السينماء ، لم يجد الدفاع صعوبة في تحطيم هذه الأدلة حيث شكك في صحة الرسالة أصلا لأنها لم توصل قط إلى المعنيين بها و اتهم والي انواكشوط بتزويرها بعد فوات الأوان كما اعتبر شهادة المفوض لاغية لأنها تدخل في باب النصائح الشخصية و لا تدخل في باب الرسميات .

و هكذا أصدرت المحكمة قرارا بتبرئة الجماعة الأصلية المتهمة بعقد تجمع غير مرخص و بأحكام مع وقف التنفيذ على كل من : المفيد ولد الحسن و لمرابط ولد حمديت ... إلخ ، و بهذا أطلق سراح الجميع في ذالك المساء ، انتهت المحاكمة و توجهنا إلى السجن لأخذ أمتعتنا و في الطريق أوقفنا جمع من التلاميذ و سألونا عن نتيجة المحاكمة فصاح قائد فرقة الشرطة التي ترافقنا : " أرجو أن تخبروهم بالنتيجة و إلا فلن نتمكن من إيصالكم إلى أهاليكم لأن الشوارع مكتظة بالمتظاهرين ".

و عندما أخبرناهم بالنتيجة كروا راجعين و هم يرددون : انتصرنا ... انتصرنا، و تعالت صيحات الجمهور في الشوارع المحيطة بقصر العدالة و أخذ يتفرق بسرعة .

الحلقة الثالثة:

... كانت المحاكمة الماضية و الأحداث التي سبقتها و رافقتها حلقة بارزة في الصراع الدائر بين الحكومة و المعارضة التي أخذت تتسيس بشكل واضح ، و كان الفرق بينها و بين محاكمة / 68 واضحا ؛ فبينما كان رئيس المحكمة و وكيل الجمهورية في المحاكمة الأولى لا يعيران اهتماما كبيرا للإجراءات كان العكس في المحاكمة الأخيرة حيث وفرت للمتهمين و محاميهم فرص الدفاع كاملة كما اهتمت النيابة من ناحيتها بتوفير الأدلة لإثبات اتهامها ، و قد كان الحكم نتيجة بحث عن الحقيقة .

كانت المعارضة إذن تتشكل في ذلك الوقت مما عرف بحركة الكادحين و جماعة قليلة من القوميين و قد اتجهت إلى تسييس الصراع ضد الحكومة، إذ تبنت المطالبة بإلغاء اتفاقيات التبعية مع فرنسا و تأميم الشركات المتعددة الجنسيات (ميفرما، سوميما ، إمابيك)

و إنشاء عملة وطنية ،كما تبنت المطالبة بإطلاق الحريات الأساسية (حرية التعبير و النشر و التنظيم)، و كذا احترام حقوق الإنسان، و شكلت صفحات " صيحة المظلوم، التي لم تتوقف مرة واحدة عن الصدور، المكان المناسب لنشر و تعميم تلك المطالب ، كما عرفت المعارضة صراعا مريرا بين القوميين و الكادحين في صفوف التلاميذ والطلاب و حتى في الشوارع أثناء الحملات الشهيرة التي كان ينظمها شباب الكادحين لإسعاف الأهالي المتضررين من الجفاف و العطش و الأمية .

و ليس الجو الذي ساد المحاكمتين ببعيد عن الجو السياسي العام السائد في الحالتين حيث كان ميزان القوة في الحالة الأولى مائلا لصالح الحكومة فدارت المحاكمة لصالحها ، بينما كان في الحالة الثانية ما ئلا لصالح المعارضة فجاء الحكم لصالحها .

و الواقع أن الحكومة استنتجت درسا من هذه المحاكمة ؛ حيث فهمت أن القضاء لم يعد صالحا كأداة لإسكات المعارضة المتنامية ، و هو ما جعلها تغير استراتجيتها في التعامل مع هذه الأخيرة .

بعد إطلاق سراح المعتقلين اتجهت الأنظار إلى الخطوة التالية من طرف الحكومة ، كما من قبل المعارضة ، أما الحكومة فقد أصدرت بعد ثلاثة أشهر قرارا بالتهدئة أعادت فيه جميع المفصولين من الموظفين و العمال – الذين أضربوا تضامنا مع قيادتهم النقابية – إلى وظائفهم ، كما قررت في نفس الوقت إدماج جميع النقابات في حزب الشعب الموريتاني دون أخذ رأي العمال في هذه المرة بالرغم من معارضتهم الواضحة من خلال المؤتمرات السابقة .

و في ذلك الصيف أنشئت جريدة " صيحة المظلوم " لسان حال الحركة الوطنية الديموقراطية ، و صدر أول عدد منها في يونيو 71 مما اعتبر حدثا مهما في تاريخ تلك الحركة، إذ تمكنت من تنظيم وتوحيد الخلايا وقيادتها وربط أفرادها فيما بينهم.

بلغت الحملة الحكومية ضد الكادحين أشدها عندما استطاعت أن تجند رجال ونساء حزب الشعب ، كما تمكنت من تعبئة بعض أئمة المساجد بالإضافة إلى جماعة القوميين، وقد لعبت " صيحة المظلوم " التي تعتبر مرجعا أساسيا في هذه الفترة من تاريخ المعارضة دورا حاسما في التصدي لتلك الحملة وإفشالها، يقول:السجين: في هذا الخضم وفي شهر نفمبر 71 قام عمال (ميفرما) ، لأن " اسنيم " لم تنشأ بعد، في انواذيبو بإضراب لدعم مطالبهم، وتضامنا مع ذلك الإضراب نظمت مظاهرة في انواكشوط انتهت بمهرجان في الساحة الواقعة جنوب "لبلوك" الأول، تناولت فيها الكلام باسم المتظاهرين وشرحت مطالب العمال و أعلنت تضامن المتظاهرين مع حركتهم، وفي اليوم التالي تلقيت قرارا بتحويلي وتحويل زوجتي ، التي هي الأخرى معلمة، إلى باسكنو وكانت تذاكر السفر بالطائرة قد أعدت لنا ولأطفالنا الثلاثة، وكنت آنذاك معلما في المدرسة رقم 8 بالعاصمة، بعد أن فقدت وضعيتي كأستاذ متدرب في المدرسة العليا للأساتذة، ذلك أنه بعد أن قضيت أربعة أشهر في السجن لم يسمح لي بالعودة إلى المدرسة بل عرضت علي منحة في تونس إلا أنني رفضت الذهاب تضامنا مع بعض زملائي الذين مازالوا مطرودين من العمل:

(محمدن ولد باكا، محمدن ولد إشدو والمفيد ولد الحسن ... إلخ)، وعندما أعلنت الحكومةإجراءات التهدئة وعودة المفصولين كان الوقت قد فات ولم يبق أمامي إلا العودة إلى التعليم الأساسي بوصفي معلما.

التحقت بعملي في باسكنو كمدير لمدرستها الابتدائية ، ولم أجد صعوبة في التكيف مع القرية الجديدة والجوالجديد، وقد جرت الأمور طوال السنة الدراسية 71 – 72 بشكل هادئ وعادي، وعندما أغلقت المدارس أبوابها - نهاية يونيو72 – كان علي أن أعود بالأسرة إلى انواكشوط لقضاء العطلة والاطلاع على الأحوال ، ونظرا لما يتطلبه هذا الرحيل من مصاريف كبيرة فضلت - بعد الوصول إلى مدينة كيفه – أن أذهب برفقة ابني الأكبر "محمد فوزي"- (سمي الجنرال محمد فوزي قائد حرب الأيام السبعة 67) - عن طريق السيارات إلى كيفه وأن تستقل زوجتي وباقي الأبناء الطائرة إلى هناك، وقد وصلت الأسرة قبلنا بيومين إلى كيفه، وكان الفصل فصل الكيظنة ففضلت ترك الأسرة هناك لتستريح قبل افتتاح المدارس وتوجهت أنا إلى انواكشوط. وفي طريقي علمت أن مجموعة من الطلاب تم تجنيدها إجباريا من بينها يعقوب جلو والتجاني ولد كريم وكن انجاوار، وبعد أن رفضوا الانصياع لأوامر التجنيد تم اعتقالهم و نقلهم في طائرة عسكرية إلى بير امكرين لسجنهم هناك، وكان واضحا أن الجو مكهرب تلك الأيام في العاصمة، وبالرغم من نصيحة بعض الأصدقاء بعدم مواصلة الرحلة تابعت طريقي ووجدت الوضع إذذاك على النحو التالي:

على مستوى النقابات ظل حزب الشعب متمسكا بقراره بإدماجها، ولكن النقابيين انقسموا فيما بينهم، فمنهم من حبذ فكرة الاندماج في الحزب ومواصلة المعارضة من الداخل، وكان يقود هذا الجناح لادجي اتروري، ولكن جماعة الحركة الوطنية الديمقراطية (مجموعة صيحة المظلوم) عارضت ذلك وكان موقفها هو الذي ساد في النهاية في صفوف المعارضة.

و على مستوى الطلاب كانت المظاهرات والاعتصامات مستمرة ، كانوا يطالبون بزيادة المنح وتوفير التأمين والسكن للطلاب ويحتجون على التجنيد الإجباري لزملائهم، وقد رفضت غالبيتهم الالتحاق بالجامعات في الخارج قبل تلبية هذه المطالب.

وعلى مستوى الحركة فقد تم رسم خطة للمواجهة على جميع الأصعدة السياسية والتنظيمية.

كانت السنة الدراسية 72 - 73 تقترب مؤذنة بموجة جديدة من المواجهات بين الحكومة والمعارضة، وفي أثناء ذلك نظمت المدرسة العليا لتكوين الأساتذة مسابقة لتكوين مفتشين ونجحت فيها لكنني لم ألتحق بها لأن الأحداث كانت تتلاحق بسرعة.فقد وصلت أسرتي من كيفه بعد أن أبعدها الحاكم، الشيخ ولد عبد العزيز بالقوة، وذلك بمجرد أنها عائلتي، وفي تلك الفترة وضعت زوجتي طفلها الرابع(عبد الله) وكان ضعيف البنية وأدخل المستشفى مع والدته.

وفي 4 أكتوبر وعندما كنت مشغولا بتسجيل ابني محمد فوزي في المدرسة داهمتني سيارة لاندروفر بالقرب من مركز البريد وكان بداخلها محمد ولد اميشين مدير المخابرات آنذاك وبصحبته رجل كبير الجثة كث الشعر لاأعرف اسمه فنزلا من السيارة وأخبرني محمد ولد اميشين بأني مطلوب من قبل إدارة الأمن فأعرضت عن الذهاب معهما لكن الرجلين حملاني بالقوة وأدخلاني في السيارة.

في المفوضية المركزية التحق بي محمدو الناجي القادم لتوه من تونس، وكان طالبا فيها وأقمنا في المفوضية يوما وليلة، وحوالي الساعة السادسة من صباح اليوم الثاني نقلنا إلى مطار انواكشوط حيث كانت تنتظرنا طائرة صغيرة تسمى " كلودك" يقودها طيار فرنسي ، كان في وداعنا والي انواكشوط خطري ولد دحود بالإضافة إلى أربعة من الحراس الذين رافقونا، عندما حلقت الطائرة في سماء العاصمة في اتجاه مجهول ، كانت سحب الرذاذ ماتزال متراكمة فوق انواكشوط حاجبة كل معالمها البارزة، شعرت برغبة جامحة في إلقاء نظرة وداع أخيرة عليها ، كان المستشفى الذي يرقد فيه ابني وأمه أهم ما أريد أن أراه لكن

غيابا حاولت ، فحالة الطقس والوقت المبكر حالا دون ذلك، أحسست لأول مرة في سجوني بالإشفاق على عائلتي، تتابعت الهواجس حول مصيرها، الولد الراقد في المستشفى، الولد الذي ألقيت به في المدرسة السابعة يوم أمس وهو لايعرف المدينة جيدا، الأم التي كانت تسكن عند " آل خباه" لعدم توفر مسكن، ومصيرها المهني هل ستنجح في البقاء بانواكشوط ؟ أم سيحولونها إلى بلدة نائية ؟ وكيف تتصرف اتجاه تلك المشاكل ؟.

كانت سياسة الحكومة في تلك الفترة قاسية مع الموظفين المعارضين، فعندما يتهم أحدهم بمخالفة سياسية يحول إلى أحد المراكز النائية، وعندما يتأخر في الالتحاق بمقر عمله يعلق راتبه ويطرد هو وعائلته من المسكن بالقوة، وكذلك كان يعامل المعتقلون أيضا، لم تكن زوجتي في يوم من الأيام من الناشطين السياسيين في المعارضة مع مناصرتها العاطفية لها، كان اهتمامها منصبا من حيث الأساس على شؤون أسرتها، ومع ذلك فقد حولت معي إلى باسكنو بدون طلب منها،كما رحلت من كيفه وهي في حالة حمل متقدمة ، فمن المتوقع أن لايرحموها هذه المرة.

توقفنا في مطار لعيون في طريقنا إلى تامشكط، استقبلنا حاكمها العرب ولد كركوب الذي نقلنا إلى مقره في القلعة الاستعمارية التي ماتزال مقرا للإدارة المحلية. وفي تامشكط بقينا لمدة أسبوع في ظروف حسنة، وذات صباح أخبرني الحاكم أني محول للإقامة الجبرية في بومديد دون أن يسلمني أي قرار مكتوب بذلك، كما لم يسلم أي قرار لمحمدو الناجي ، عندما طلبنا منه يالحاح تسليم القرار أخبرني بأني سأجده أمامي لكني لم أجده طوال فترة الإقامة الجبرية، كما لم أطلع لا أنا ولا زملائي طيلة فترة الإقامة على النص القانوني المشرع لتلك الإقامة الجبرية، كنا نعتبر أنفسنا سجناء بمقتضيات قانون " لتفتار " وعندما نعلن ذلك أمام السلطات - خصوصا الحاكم - يتميزون غيظا ولكنهم لايجدون أبدا الرد المناسب علينا ماعدى تشديد الرقابة وظروف الإقامة.

في بومديد حيث بقيت شهرا تقريبا كنت في ضيافة المرتجى ولد ملاي أحمد

(الحاكم آنذاك) وقد استقبلني استقبالا حسنا واختار لمرافقتي حرسيا ـ الدي ولد هنون ـ كنت على سابق معرفة جيدة به وأسكنه معي في بيت مريح، كان الزوار يتوافدون علي بدون توقف أو حرج ومن بينهم المعلمون والمتعاطفون مع المعارضة، دعاني سعدنا ولد الشيخ محمد عبد الله ولد آده لغداء معه في بومديد القديم وذلك بحضور الحاكم، كما دعاني جميع وجهاء القرية.

وإذا كان مقامي في بومديد شبيها بوضعية من هو حر إلا أن الأمر تغير فيمابعد، لقد أدت تلك الوضعية التي وفرها الحاكم لي بالإضافة إلى وجود مجموعة من المعلمين الديمقراطيين ـ باب ولد ا بك ومحمد امبارك ولد اسويلم زيادة على كون السنة الدراسية 71 ـ 72 سنة جفاف نزح فيها سكان الريف إلى المدينة بعد أن فقدوا قطعانهم من الماشية مما جعلهم مستعدين لاستقبال خطاب المعارضة ، أدى كل ذلك إلى خلق وضعية تحريضية في بومديد نفسها نسبت من طرف الإدارة وبعض رجالات حزب الشعب إلى وجودي هناك.

وقد أوعز هؤلاء إلى السلطات العليا بانواكشوط بخطر مقامي هناك، حيث تلقى الحاكم أمرا سريا بوضعي تحت الإقامة المحروسة المشددة ومنعي من استقبال الزوار، لكن الحاكم طبق تلك الأوامر بمرونة قصوى الأمر الذي حدا بوالي لعصابه وهو آنذاك عبد الله ولد الشيخ ولد أحمد محمود لزيارة بومديد وتحذيري بعد أن أنب الحاكم على معاملته الحسنة لي وتسامحه في متابعة النشاط السياسي الذي أقوم به في البلدة.

انتهزت فرصة المقابلة لأشن هجوما شديدا على طريقة اعتقالي واعتقال زملائي بصورة لاتتماشى مع أبسط قواعد الاعتقال في دولة تدعي أنها دولة " القانون "، وقدمت كأدلة على ذلك عدم وجود اتهامات والمنع من زيارة الأهل وأخبارهم، وقارنت وضعيتي وزملاءي " بالحالة في جنوب إفريقيا "، وقد ردعلي الوالي قائلا: " إن الذنب في اعتقالكم يقع عليكم وحدكم " لأنه حسب قوله " لم يكن هناك خطأ عندماتم اعتقالنا لأن الحكومة رشيدة ومستقيمة ولايمكن أن تعتقل أحدا إلا إذاكان مجرما " ، و مع أن أسلوبه في

الخطاب كان مهذبا إلا أنه من حيث المحتوى كان يعبر عن فلسفة الحكومة في تلك الأيام، تلك الفلسفة التي لم تعد تتقيد في معاملاتها مع المعارضين بالإجراءات القانونية.

ما إن عاد الوالي إلى كيفه حتى جاء أمر من انواكشوط بإعادتي إلى تامشكط مرة أخرى لأجد أمامي رفاقي: المصطفى ولد اعبيد الرحمن، دفا بكري، لادجي اتروري و محمدو الناجي الذي تركته هناك، وكان منزلنا جميعا في القلعة التي يوجد بها منزل و مكتب الحاكم ، وقد وضعونا في منزل مريح نسبيا كان معدا أصلا للضيوف الحكوميين.

وضع الحاكم تحت تصرفنا طباخا يدعى " أرْدَ " بالإضافة إلى الحرس الذين كانوا مكلفين برقابتنا، في البداية لم يكن يسمح لنا بالخروج من القلعة، ولكن بعد إلحاحنا انتهى الحاكم بقبول خروجنا بثلاثة شروط:

1 ـ أن لانخرج في اليوم إلا مرة واحدة

2 ـ أن نتجه إلى وجهة خالية من السكان

3 ـ أن يكون برفقتنا الحرس وبأيديهم أسلحتهم

قبلنا تلك الشروط واستقر حالنا على هذا النظام بدون حوادث تذكر، كان يومنا الرتيب يبدأ بتناول الشاي أو القهوة واللبن في الصباح، كان منا من يفضل القهوة دائما (دفا بكري ولادجي اتروري) ومنا من يفضل اللبن (محمدو الناجي) أما أنا والمصطفى ولد اعبيد الرحمان فكنا غالبا مانفضل الشاي مع أننا كنا نتناول القهوة في بعض الأيام وربما شربنا الشاي والقهوة معا، بعد الفطور كنا نقوم حوالي الساعة التاسعة والنصف بالتنزه خارج القرية، كانت رحلتنا في الأيام الأولى قصيرة ولكنها كانت تطول في كل يوم حتى كنا لانعود قبل الحادية عشرة، حيث يحين وقت " أطاجين " الذي كان غالبا إدامه من لحم البقر المطبوخ مع الخبز المحلي، وبعده نكب على مطالعات فرديةبالرغم من عدم توفر الكتب معنا وكذلك الجرائد إلا أننا كنا نستعمل مكتبة الإدارة الموروثة عن عهد الاستعمار، فهناك تقارير إدارية وكتب تاريخية وسياسية واستراتيجية، فضلا عن بعض المجلات القديمة، كما كنا نستعير بعض الكتب من رجال القرية.

وفي الظهر كنا نتغدى الساعة الواحدة ، وكان طعامنا على الدوام الأرز الأبيض مع اللحم، وفي أثناء الغداء والشاي كنا نستمع إلى الإذاعة وبصورة عامة كنا نفضل جميعا إذاعة فرنسا الدولية في برنامجها 24 ساعة في إفريقيا والذي كان قليلا ما يتناول الأحداث في موريتانيا، هذا بالإضافة إلى إذاعة لندن التي كنت أستمع إليها على الدوام مع محمدو الناجي وخاصة برنامجها عالم " الظهيرة "، وتجدر الإشارة إلى أني وزميلي محمدو الناجي كنا نجد صعوبة في متابعة الإذاعة باللغة الفرنسية في البداية نظرا لجهلنا النسبي بتلك اللغة ولكن ومع الزمن وبمساعدة زملائنا المتفرنسين في السجن تغلبنا على أهم الصعوبات في متابعتها، والعكس صحيح بالنسبة لزملائنا المتفرنسين وخصوصا ولد اعبيد الرحمان مع اللغة العربية حتى أن لادجي اتروزى وهو أكثر القوم جهلا باللغة العربية صار يتابع معنا المسلسل الذي تقدمه إذاعة لندن، وكان لايفتر عن تذكيرنا بأوقات بث المسلسل مما جعلنا نتأكد من أنه على الأقل أصبح يعرف من اللغة العربية كلمة " مسلسل " .

بعد الغداء والاستماع إلى الإذاعة كان بعضنا ينام وبعضنا يستريح فقط حتى الساعة الثالثة والنصف أو الرابعة حيث نستأنف المطالعة ، وفي بعض الأحيان نلعب الورق أو " دامبا "وفي الخامسة نتناول شاي المساء " الذهبي " ...كانت أطول الفترات وأكثرها مدعاة للا كتئاب فترة المساء ، حيث يقبل الظلام ليلف تامشكط كلها بسواده السميك فلا مطالعة ولانزهة ولا لعب لفترة تبدأ من السابعة والنصف مساء حتى السادسة والنصف صباحا في بعض الفصول أي حوالي إحدى عشرة ساعة من السكون التام ... كنا نستمع إلى الإذاعة حتى وقت متأخر من الليل لننام نوما غير لذيذ وغير عميق.

بعد فترة من الإقامة الجبرية في تامشكط والانقطاع عن أصدقائنا وذوينا بدأنا نشعر بالضيق ففكرنا في طريقة لفك العزلة المفروضة علينا، لقد علمنا أن في القرية مناصرا للمعارضة هو الكيحل ولد محمد العبد (المدير السابق لمدرسة المعلمين بانواكشوط) فأخذنا نفكر في الاتصال به ولم يكن أمامنا من وسيلة إلا الطباخ الذي يبدي منذ وصولنا الكثير من الجدية وحسن السلوك، فقررنا مفاتحته وأبدى استعدادا كبيرا.

كان لزاما علينا أن نجرب الطباخ في البداية برسائل لاتكتسي أهمية ، فأعطيناه رسالة نطلب فيها من الكيحل عرضا عن خريطة تامشكط البشرية والجغرافية، وجاء الجواب بسرعة فقررنا اتخاذه رجل اتصال ... هكذا بدأت المراسلات بانتظام كبير بيننا وزملا لنا في انواكشوط وأصبحنا على اطلاع كامل بما يجري، حيث شاركنا بنشاط في توجيه حركة المعارضة سياسيا، كانت التقارير عن الوضع السياسي وأعداد صيحة المظلوم تصلنا بانتظام، تحدثت التقارير عن مد كبير للحركة في عموم البلاد مما لمسنا عليه دليلا عندما ، كنا يوما خارجين في إحدى جولاتنا المعتادة ذلك أننا فوجئنا بمجموعة كبيرة من الفتيات تستقبلنا ـ وقد كن مختبئات وراء الكثبان الرملية خشية أن يراهن الحرس ـ وهن يغنين: " مد **ليدين للكادحين** " بأصوات جميلة و حماسية وعندما أدين الأغنية كما كان مقررا على ما يبدو توارين بسرعة وراء الكثبان ولم يستطع الحرس أن يعمل شيئاهول المفاجأة، كما تحدثت عن حملات قمع شرس ضد المعارضة و قد علمنا باعتقال محمدن ولد إشدو و إرساله إلى افديرك واعتقال أحمدو ولد عبد القادر وزوجته السالكه وابنتهما الرضيعة خديجه، كما علمنا باعتقال الكثيرين غير هؤلاء ، وفي ذلك الخضم تلقيت نبأ تحويل زوجتي إلى أطار في ظروف شبيهة بتحويلها إلى باسكنو في المرة الماضية.

وقد راج في تلك الأيام أن أفرادا من أنصار الحركة المزعومين أدلوا باعترافات عن محاولة تنظيم تمرد للإطاحة بالحكومة بالقوة و أنهم أدلوا بشهادات ضد السجناء المحروسين في تامشكط بصفتهم قادة لهذا التمرد.

ورغم توحدنا في المعارضة والمحنة التي تجمعنا فقد كنا ننقسم داخل السجن إلى ثلاثة اتجاهات:

ـ اتجاه جريدة " لبراسيوه " وهو اتجاه تكون بعد أحداث ازويرات ويمثله المصطفى ولد اعبيد الرحمان، ومن مشاهيره عبد الله ولد اسماعيل وأحمد ولد الزين ... إلخ.

الحلقة الرابعة

كان لانقطاع صلتنا بالخارج واعتقال رجل الاتصال الذي كان الصلة الوحيدة بالرفاق نتيجة واحدة هي شعورنا بالغربة وعجزنا عن معرفة ما تخبئه الأيام، وكانت بعض الرسائل التي وصلتنا قبل انقطاع الأخبار قد تحدث عن تشكيل محكمة استثنائية تدعى " المحكمة الشعبية الثورية " برئاسة محمد ولد خطري ولد سكان.

وفي يوم من أيام إبريل - على ما أعتقد - وصل إلى تامشكط قاضي يدعى أحمدن ولد محمد مالك، وقدم نفسه على أنه قاضي التحقيق لدى تلك المحكمة وأنه جاء للتحقيق معنا، وبذلك تأكدت لدينا - لأول مرة - صحة النبأ القائل بتشكيل المحكمة الثورية.

كان التحقيق معنا قصيرا ولا أتذكر الأسئلة بالضبط ولكنها كانت تدور حول انتمائنا إلى حركة سرية تهدف إلى الإطاحة بمؤسسات الدولة، وقيادتنا لهذه الحركة ، ثم ذهب القاضي دون أن يوجه لنا أي اتهام ، وذات يوم – وبعد انتهاء فترة الإقامة الجبرية المحددة بستة أشهر - وصل من انواكشوط قراران أحدهما يقضي بتحويل ثلاثة منا إلى السجن المدني في لعيون بتهمة " الإخلال بأمن الدولة " وهم: لادجي اترورى والمصطفى ولد اعبيد الرحمان وأنا، بينما يقضي الثاني بتجديد الإقامة الجبرية لمدة ستة أشهر أخرى بالنسبة لمحمدو الناجي ودفا بكري.

نقلنا نحن الثلاثة في مؤخرة سيارة لاندوفر مغطاة بقماش " البند " السميك في اتجاه لعيون ، كان الزمن صيفا (حوالي 20 مايو من سنة 73)وكانت المنطقة تكاد تشتعل من شدة الحر.

ومع أن وقت مغادرتنا لتامشكط كان في المساء إلا أن ذلك لم يخفف من درجة الحرارة في مؤخرة السيارة، انطلقت السيارة في طريق وعرة كثيرة الأخاديد والالتواءات ولم يكن السائق مهتما بحالنا، بل كان همه الوحيد الوصول بسرعة إلى حيث يقصد.

وصلنا لعيون في وقت متأخر من الليل و كان في استقبالنا فرقة الحرس المكلفة بحراسة السجن ، أنزلنا في زنزانة مبنية بالحجارة الصلدة خالية من الثقوب –أحرى النوافذ– و سدوها علينا بباب من الحديد فور دخولنا .

و بالرغم من التعب الذي نشعر به بسبب الرحلة الشاقة ، فإن جفوننا لم تنم بقية تلك الليلة لشدة الحرارة ، و قد اضطررنا للتخلص من الملابس غيرالضرورية، وبتنا نسبح في بحر من العرق. وحوالي الساعة العاشرة من صبيحة الغد وصل قائد الدرك في لعيون (محمد الأمين ولد الزين) فأمر بإخراجنا من الزنزانة ووضعنا مع السجناء العاديين، عند ذلك فقط أصبح لنا الحق في الشراب والاستحمام وتناول الفطور.

كان سجن لعيون عبارة عن مبنى مكون من ثلاثة عنابر يحيط بها سور طويل وسميك يتكون مدخله من بهو شبيه بغرفة فسيحة نسبيا، لها بابان أحدهما يؤدي إلى داخل السجن والثاني يؤدي إلى الخارج... يسكن الحرس المكلف بحراسة السجن داخل هذا البهو، وكثيرا ما يؤوي معه السجناء المقربين منه ومن السجان(مدير السجن) حيث يتناولون معهما الشاي ويشاركونهما في الألعاب.

ينفتح الباب المؤدي إلى داخل السجن على ساحة تفصل بين البهو وعنابر السجناء ... تستعمل هذه الساحة في المساء بعد رشها من طرف السجناء في فصل الحرارة لغرض التبريد، أما العنابر فهي عبارة عن ثلاث غرف صماء مستطيلة الشكل لانوافذ لها تفتح أبوابها الثلاثة على الساحة... تتسع كل غرفة لثمانية سجناء يستخدمونها للنوم والسكن، يشرف على السجن رجل منحدر من قبيلة " انمادي " يدعى " غلام " كان يعمل كحرسي وتقاعد برتبة مساعد، يزيد عمره على خمسين سنة، قصير القامة صغير الرأس والعينين، له أسنان ماتزال كاملة، سريع الحركة، دائم الدعابة ، قليل الضحك، قلما يرفض طلبا وقلما يلبيه، تبدو على وجهه التجاعيد ولكنه بعيد من الوهن، وتقوم فرق من الحرس بالحراسة بصفة دورية.

أقبل إلينا غلام بعد ذهاب قائد الدرك مرحبا وآمرا بتقديم الشاي و" أطاجين " الذين وفرهما قائد الدرك قبل ذهابه ثم انصرف، وكان من الواضح أنه غير مرتاح لوجودنا في البهو في يومنا الأول، وفور ذهابه أسلمنا جفوننا للنوم.

عاد السجان آخر النهار وأخبرنا بأن الأوامر صدرت إليه بإدخالنا في العنابر إلا أنه - كما يقول - اختار لنا أحسنها من حيث التهوية والنظافة، وهو العنبر الشرقي، ثم أخذ " الشنط " وطلب منا أن نسير وراءه، وعندما تجاوزنا عتبة الباب أوحى إلى الحرس فأوصد الباب من ورائنا.

كان عدد السجناء في تلك الفترة قليلا، وكلهم من سجناء " الحق العام " وينقسمون إلى مجموعتين من حيث نوع الجريمة:

- متهمون بسرقة الإبل وهم: حوالي العشرة وكلهم رجال
- امرأة وابنتها: متهمتان بقتل ابنهما غير الشرعي

كان سجاننا لطيفا، وكان ولوعا بلعب الورق لكنه قلما يحقق انتصارا وإن حدث وحققه فسيكون ذلك اليوم يوم عيد على السجناء وإن لم يحققه فسيظل مكتئبا ولن يلبي لهم أي طلب.

كنا نشرب من قرب ماؤها مجلوب من عيون مياهها سطحية ملوثة بالطفيليات التي كنا نراها تتحرك بالعين المجردة، وقد حملنا الكثير من هذه الطفيليات في أجسامنا، ولذلك فقد أصبت بمرض " بروت ".

كان أسوأ ما في ذلك السجن عند قدومنا إليه عدم نظافته وسوء حالة مراحيضه، طرحنا المشكلة على السجان الذي وافق بسرعة على حل تلك المشكلة، ولكن عندما زارنا في اليوم التالي وذكرناه بوعده انصرف وقال لأحد الحراس: " ومن يظن هؤلاء أنفسهم ؟ إنهم لم يحولوا لنا لكي نكرم مثواهم، دعوهم فسوف يتعودون على ذلك مع مرور الوقت " ، لماعلمنا بموقف السجان قررنا القيام بحملة تنظيف عبأنا لها جميع السجناء، وعندما جاء

وشاهد العمل تظاهر بالرضى وقال: " هكذا يفعل الوطنيون المخلصون من أمثالكم لبلادهم" .

كان سجن لعيون - فيما عدى الليالي الأولى نهاية للعزلة التي عانيناها في تامشكط، ومع أننا كنا ننتظر من وقت لآخر محاكمة غير عادلة أمام محكمة سياسية، فقد وجدنا في لعيون من يستقبلنا بحفاوة أمثال: أحمد ولد خطاري الملقب ولد آدبه (أمين مالية الولاية ومحمد الأمين ولد الزين قائد الدرك).

كان للحركة الوطنية الديمقراطية وجود منظم يقوده يحي ولد البشير الذي كان على اتصال دائم بنا، وعن طريقه استأنفنا صلتنا بالأصدقاء في انواكشوط.

علمنا عن طريق صلتنا الجديدة بحملة تضامن واسعة مع السجناء تم تنظيمها أثناء الإضراب عن الطعام الذي قمنا به شملت أغلب البلاد، وأن انواكشوط على الخصوص كانت في تلك الفترة في حالة غليان دائم، وأن عدد المعتقلين في سجن بيلا وحده وصل إلى قرابة الألف، وأن غالبية السجون في العواصم الأخرى تعج بالمعتقلين، ومع ذلك لاتزال الاحتجاجات متواصلة، و " صيحة المظلوم " لاتتوقف عن الصدور في مواعيدها المحددة. والحقيقة أن سكان انواكشوط تعودوا لعدة سنوات على المصادمة الدورية بين مجموعات المتظاهرين وفرق الحرس مدعومة من طرف الشرطة بقيادة الملازم ممي وهراواته الغليظة.

كانت تلك الفرق في البداية قليلة العدد ضعيفة التكوين، أتذكر على سبيل المثال أنه أثناء مظاهرة احتجاج على أحداث أزويرات سنة 68 قام المتظاهرون بمهاجمة مقر رئيس الجمهورية لمدة ساعة قبل أن تتمكن قوات الأمن من تفريقهم لأنها لم تكن تتوفر على القنابل المسيلة للدموع و لا على وسائل قمع تحل محلها ، و لكن تلك الفرق طورت شيئا فشيئا "قدراتها القمعية " و أصبحت تستعمل الهراوات و القنابل المسيلة للدموع لأبسط الأسباب و بشكل مكثف ، و في كثير من الأحيان كانت تكتفي بتفريق الجموع و لا تقوم با لاعتقالات ، و لكنها كانت على الدوام تضرب بقسوة كل متظاهر تمسك به ، و كانوا

في بعض الأحيان يعتقلون الناس و يلقون بهم في سيارات لاندروفير التابعة للحرس و الحافلات التابعة للشرطة و الوجهة هي دائما مفوضيات انواكشوط .

لم يكن الاعتقال التحفظي في البداية يتجاوز 48 ساعة ، ولكن التشريع تطور في اتجاه القسوة، حيث أصبح بالإمكان تمديد تلك الفترة إلى أسبوع .

و في داخل السجون لمعت أسماء لجلادين تميزوا بشراسة نادرة منهم مثلا "لحرور " (2) الذي أشتهر بتعذيبه لفتيات و فتيان تيجكجة . و من ناحية المتظاهرين فإنهم كانوا في البداية عديمي التجربة ضعيفي المقاومة يتفرقون بسرعة عندما تظهر فرق مكافحة الشغب ، و لكنهم طوروا أساليب صمود و مقاومة أظهرت في النهاية فعاليتها، فقد تعلموا إستعمال المناديل المبللة بالماء لإبطال مفعول الغاز الذي تطلقه القنابل المسيلة للدموع ، كانت النسوة تحملن الأواني المملوءة بالماء و كميات كبيرة من المناديل يبللنها و يزودن بها المتظاهرين ـ كما توصل المتظاهرون إلى تشكيل فرق لحفظ النظام أثناء المظاهرات تطورت إلى أن أصبحت فرقا صدامية حقيقية تستعمل الحجارة و العصى و حواجز الطرق ... ومن هذه الفرق فرقة أطلقت على نفسها " فرقة أيلول الأسود " التي يقول شاعرها

أيلول الأسود لا اتل في التيجريت إفاتن
ويل الرجعية فاشل و أيلول اعليه عاتن

كانت المحاكمة المقبلة أمام محكمة ثورية تأخذ جزءا كبيرا من تفكيرنا ، و كلما كنا نفكر في التحضير لها اصطدمنا بالجهل التام بالنصوص المنظمة لها ، فنضطر للتأجيل بغية الحصول على معلومات جديدة ، و مع الزمن أصبح احتمال تلك المحاكمة يضعف أكثر فأكثر ، فبينما ظلت السجون مكتظة بالمعتقلين أخذت الحكومة بالمقابل تتخذ القرار تلو القرار لتلبية مطالب المعارضة المتعلقة باسترجاع السيادة الوطنية ، و قد اتخذ قرار بإلغاء اتفاقيات الدفاع المشترك مع فرنسا ، كما تم اتخاذ قرار بإنشاء عملة وطنية . و كرد غير مباشر على هذين القرارين نشرت الحركة الوطنية الديموقراطية برنامجا بخمس نقاط :

1- استرجاع و توطيد الإستقلال الوطني
2- إتاحة الحريات الديموقراطية
3- تحسين ظروف الجماهير
4- صيانة الوحدة الوطنية
5- مساند استقلال الشعب الصحراوي

وأ فردت صيحة المظلوم لكل واحدة من هذه النقاط مقالا مطولا لشرح محتواها، وكان واضحا من تلك الخطوة أن المعارضة تحاول استرجاع المبادرة من النظام الذي أصبح ـ بعد الزج بغالبية قادتها في السجون ـ يلبي بعض مطالبها لتحسين صورته في الأوساط الحساسة، ولكن استرجاع المبادرة يتطلب حملة واسعة وتلك الحملة تستلزم جيشا ضخما، وقادة الجيش والكثير من جنوده موجودون وراء القضبان، وهذا ماجعل الحركة تفكر في هروب بعض القادة من السجن، وتم ذلك بالفعل بالنسبة للبعض (ولد إشدو في انواكشوط) أما بالنسبة لنا فمع أن قرار تهريبنا من السجن قد اتخذ إلا أنه كان مشروطا بشرطين:

ـ أن نوافق على هذا القرار
ـ أن نخضع لدراسة تثبت إمكانية قوية لنجاحه

لم يتطلب الشرط الأول الكثير من الوقت، فقد كان ردنا سريعا بالموافقة، أما الشرط الثاني وهو الدراسة فقد استغرق وقتا أطول، وقد انتهت دراستان على الأقل بنتيجة سلبية، بسبب صعوبة المواصلات وجهل الوسط الجغرافي والبشري من طرف المسؤولين عن تنفيذ العملية، وقد أعطيت للمشرفين على العملية مهلة لا تتجاوز رأس سنة 1974، ولكن قبل ذلك الأجل بأيام قليلة تم إطلاق سراحنابموجب برقية تأمر بإعطائنا حرية مؤقتة، وذلك بعد ثلاثة عشر شهرا من مصادرةحرياتنا، ستة منها تحت الحراسة المشددة بين تامشكط وبومديد وسبعة منهافي سجن لعيون.

وياطلاق سراحنا دون محاكمة ماتت فكرة المحكمة الشعبية الثورية التي أسسها حزب الشعب لمحاكمة خصومه السياسيين قبل أن تعقد جلسة واحدة.

وعندما وصلنا إلى انواكشوط قادمين من لعيون في الأيام الأخيرة من سنة 1973 كانت غالبيتنا قد تحررت، وكان الوضع على النحوالتالي:

◆ لقد أدت المجابهة التي دامت طوال سنتي 1972 و 1973 بين الحكومة والمعارضة دون أن تتمكن الأولى من تصفية الأخيرة ودون أن تستطيع الأخيرة إرغام الأولى على الرضوخ لجميع مطالبها والاعتراف بها كشريك ـ إلى إعادة الحسابات على مستوى الطرفين، فعلى مستوى الحكومة أدت التعبئة الدائمة لقوات الأمن إلى ظهور استياء في صفوفها، كما أدت عمليات القمع الواسعة، والتي جرت في غياب تام للقضاء، وحملة المعارضة في الداخل والخارج إلى إعطاء صورة سيئة عن النظام القائم، ولعل ذلك مايفسر القرارات المتعلقة باسترجاع السيادة الوطنية وإطلاق سراح المعتقلين.

وعلى مستوى المعارضة ظهرت علامات ضعف في بعض مناضليهاجراء حملات القمع التي أدت ـ بالإضافة لمئات المعتقلين ـ إلى طرد المئات من الموظفين أو تعليقهم من وظائفهم، كما قطعت منح المئات من التلاميذ والطلبة الذين راحوا يتسكعون في الشوارع، يضاف إلى ذلك الحرب النفسية التي جعلت من الحركة الوطنية الديمقراطية مجرد حركة شيوعية هدفهاالقضاء على الدين.

وقد كانت مخابرات النظام وقيادات حزب الشعب يقفون وراء تلك الشائعات التي سخرت لها الإذاعة الوطنية أوقات بثها المحدودة وغصت برامجها بالأدب الرديء لمجرد أنه يهاجم المعارضة، وقد ترك كل ذلك أثره على معنويات المناضلين، وهذا مايفسر موجةالانبطاح التي عرفتها الشهور الأخيرة من سنة 1973، كما يفسر الأحداث التي ستعرفها السنوات اللاحقة: الحوار، الاندماج في حزب الشعب، وانقسام الحركة الوطنية الديمقراطية.

لقد كانت أقرب صورة للوضعية التي وجدنا فيها المعارضة عشية وصولنا إلى انواكشوط تلك التي رسمها أحمدو ولد عبد القادر في قصيدة يقول فيها:

وابتسام الربيع يولد مهما تعب الكون من دموع الشتاء

الحلقة الخامسة

عرفت سنتا 1974 - 1975 صراعا حادا داخل الحركة الوطنية الديمقراطية وذلك بعد أن انضم إليها كل من مجموعتي ليبراسيوه " التحرير" وافلامبو " المشعل" بعد أن حلت كل منهما تنظيمها لتندمج في الحركة.

كان موضوع ذلك الصراع تحديد الموقف من سلسلة الإصلاحات التي أعلنت عنها حكومة المختار ولد داداه لرسم استراتيجية للحركة تاخذ المستجدات في الحسبان... اتفق الجميع منذ البداية على تبني الدعوة إلى حوار مع النظام حول النقاط الخمس الواردة في الحلقة السابقة.

ولكن النظام لم يهتم بتلك الدعوة، في حين واصل اتخاذ القرارات الهادفة إلى استكمال السيادة الوطنية، فقد تم تأميم ميفرما 28 نوفمبر 1974 وبذلك اختفى الوجود الأجنبي. وتأييدا لذلك القرار دعت الحركة إلى مظاهرة لم تشهد العاصمة قبل ذلك مظاهرة أضخم منها، غير أن النظام أرسل لها قوات القمع ففرقتها بعنف شديد.

أشاعت المخابرات أن منظمة كانت تريد الإطاحة بالمختار ولد داداه، وبذلك اتضح أن النظام بقدر ماهو مستعد لتلبية بعض المطالب الوطنية مصمم على تحطيم المعارضةوتجريدها من سلاحها الرئيسي الذي هو مطالبها الوطنية.

لقد أثارت هذه الأحداث في صفوف الحركة موجة من التساؤلات: ماهو الموقف من هذه التغييرات ؟ هل تعتبر عموما سلبية أو إيجابية ؟ ماهي طبيعة النظام بعدها ؟ هل مايزال موا ليا للآستعمار أم أصبح وطنيا ؟ ما هو مصير و مستقبل حركة المعارضة في الاحتمالين ؟ وما هو الموقف الملموس من النظام ؟

ومن أجل الرد على هذه التساؤلات انقسمت الحركة في البداية إلى اتجاهين: أحدهما يدعو إلى تشكيل جبهة مع النظام لصيانةوتعميق الإصلاحات، والثاني رافض لهذا الموقف ويتمسك بالخط التقليدي للحركة من النظام. ولحسم الخلاف قررت قيادة الحركة

طرحه على القواعد وفتح مناورة واسعة بغية استخلاص الصواب، وقد توصلت الأغلبية الساحقة في الحركة إلى مساندة الموقف الداعي إلى مساندة الإصلاحات، غير أن جناحا من الجبهويين دعا إلى حل الحركة ودمجها في حزب الشعب، واستطاع هذا الجناح أن يمرر ذلك القرار، لأنه كان يتمتع بالأغلبية في القيادة ولأن الجناح الرافض لم يقدم تكتيكا بديلا ياخذ المستجدات في الحسبان، وقد نشر قرار الاندماج هذا في بيان وقعته 20 شخصية قيادية من شخصيات الحركة ، وقد قام المصطفى ولد اعبيد الرحمان بتسليمه إلى صال عبد العزيز الأمين الدائم لحزب الشعب الموريتاني آنذاك، وعندما عاد ليخبر رفاقه بإنجاز مهمته كان مكتئبا ، لجو البرودة الذي استقبل به في مقر قيادة الحزب، وكان يتحدث بمرارة عن التعليقات الساخرة التي وصلت إلى سمعه وهو يطؤ ذلك المكان لأول مرة، غير أنه كان يتعزى بالنوايا الطيبة التي تكنها لهم السيدة " مري اتريز " وجناحها " المستنير " بينما يلقي باللا ئمة في برودة الاستقبال على الجناح " المتعنت " ويعني آنذاك أحمد ولد محمد صالح ومحمد ولدخيار.

لم يدم هذا التصنيف (مستنير/ متعنت) طويلا في التحليل، فقد أصبح الجميع مستنيرين ووطنيين، ومع ذلك كانوا جميعا يرتبون للدخول في حرب ضد استقلال الشعب الصحراوي وجبهة البوليزاريو التي كانوا يرون فيها امتدادا للمعارضة في الداخل وبالذات الحركة الوطنية الديمقراطية، وليس صحيحا أن النظام أرغم على الدخول في الحرب خوفا من استيلاء المغرب عليها ووصول حدود المملكة إلى حدود موريتانيا، بل الحقيقة أن الصراع في الصحراء كان امتدادا للصراع في الداخل، فيما يخص موريتانيا على الأقل.

كان الموقف من الصراع في الصحراء الضربة الفاصلة بين جناحي الحركة الوطنية الديمقراطية، ففي حين رأت جماعة الاندماجيين أن الحرب - بعد أن كانوا ضدها في البداية — لاتاتي بجديد يغير من سياسة النظام الوطنية، على العموم كانت الجماعة الأخرى ترى أن هذه الحرب ستكون القشة التي تقصم ظهر الإصلاحات الاقتصادية الوطنية وستلقي بالنظام

في أحضان الفرنسيين من جديد، بالإضافة إلى كونها حربا غير عادلة ضد شعب يسعى إلى تقرير المصير والانعتاق.

تمت القطيعة بين الفريقين في شتاء 1976 وكان ميزان القوة يميل بوضوح لصالح الاندماجيين، حيث كانوا يسيطرون على هيئات الحركة القيادية، واستطاعوا بذلك أن يجرفوا معهم غالبية الإطارات المثقفة و الشبيبة النسوية والمدرسية، فانفصلت الأقلية في القيادة بفريق قليل من المناضلين بادئة مرحلة جديدة هي إعادة بناء الحركة الوطنية الديمقراطية التي أصدر الجناح الآخر قرارا بحل جميع تنظيماتها الجماهيرية والاكتفاء بحزب الشعب كإطار وحيد للتنظيم، وقد عملت هذه الجماعة المنفصلة على:

- وضع حصيلة شاملة لمسيرة الحركة منذ نشأتها سنة 1968.
- البحث عن العناصر التي احتفظت بإرادة ثورية وتنظيمها.
- وضع خط سياسي جديد يأخذ في الحسبان حرب الصحراء ومضاعفاتها على الوضع الداخلي و في نفس الوقت يتجه إلى الفئات الشعبية الأساسية، فإذاكانت الحركة الوطنية الديمقراطية في مرحلتها الأولى قد اعتمدت على الفئات المثقفة والشبيبة المدرسية فإنها أصبحت مع الاتجاه الجديد تتجه إلى الفئات الشعبية الأكثر فقرا وحرمانا.

ولوضع هذا البرنامج موضع التنفيذ قامت الجماعة ، **أولا**: بخلق تيار مناوئ للحرب ومساند للبوليزاريو والشعب الصحراوي ولحقه في تقرير المصير، وقد أدت تلك الجهود بالإضافة إلى الصعوبات و الخسائر المادية والبشرية التي لحقت بالنظام إلى توسع الرأي المساند للسلام، كما قامت في نفس الوقت بطرح مشكل العبودية ومساندة نضال الفلاحين الفقراء من أجل الحصول على الأرض، كما ساندت التمردات الفردية والجماعية التي قام بها ضحايا الاسترقاق في تلك الفترة سواء على المستوى الداخلي أ والخارجي (دكار).

وعلى الرغم من المساندة الواسعة التي لقيها النظام في بداية الحرب ــ بعد المعارك الأولى التي استطاع فيها السيطرة على أهم المدن في وادي الذهب ومقتل الولي مصطفى السيد زعيم الصحراويين في معركة وقعت على مشارف انواكشوط ـ لم تكد سنة 77 تصل حتى راح الصحراويون يكيلون الضربات الموجعة للجيش الموريتاني، وكان للهجومين الجريئين على انواكشوط، الذين مرا بدون عقبات، أثر كبير على معنويات الجميع.

وفيما كان النظام وسياسيوه في حزب الشعب يراهنون على بسالة " قواتنا المسلحة وقوات أمننا " وقدرتها على إبادة " العصابات المدربة والممولة والموجهة من الخارج " كان قادة الجيش يفكرون في أمور أخرى من أهمها الانتهاء من الحرب عن طريق الانقلاب على النظام.

علمنا بانقلاب 10 يوليو قبل وقوعه، لأن بعض الانقلابيين أخبرونا بذلك لكننا أكدنا لهم رفضنا للانقلاب كشكل لا شعبي من أشكال الإستيلاء على السلطة، غير أننا حفظنا لهم السر، وعندما وقع الانقلاب كنت في كيهيدي أعمل كمفتش في التعليم الأساسي بعد أن تخرجت من المدرسة العليا للأساتذة سنة 77. كان ذلك في الأيام الأخيرة للسنة الدراسية فلم ألبث أن وصلت إلى انواكشوط وقابلت رئيس السلطة الجديدة، المصطفى ولد محمد السالك، كما قابلت بعض رجال السلطة الآخرين، كان حديث الجميع حول تحقيق السلام في الصحراء الغربية وتحقيق الديمقراطية وتصحيح حالة الاقتصاد الوطني، ولذلك أعلنت للانقلابيين مساندتنا لهذا البرنامج.

وفي بداية سنة 1979 اتصلوا بي في كيهيدي وعرضوا علي حقيبة وزير للشبيبة والرياضة فرفضت قائلا: " إنني مع مساندتي لبرنامج السلطة العسكرية إلا أنني لاأستطيع تسلم حقيبة وزارية في حكومة عسكرية.

لم تلبث اللجنة العسكرية أن انقسمت على نفسها بين جماعتين: إحداهما بقيادة جدو ولد السالك ومساندة ملاي ولد بوخريص وجماعة البعثيين، والثانية بقيادة المصطفى

ومساندة بقية العسكريين، انتهى الصراع بين الجماعتين إلى الإطاحة أولا بجدو ولد السالك وجماعته من طرف المصطفى ولد محمد السالك وبسقوط الثاني على يد جماعته وتعيين ولد بسيف على رئاسة الحكومة، كان الصراع الذي عصف باللجنة العسكرية للإنقاذ الوطني قد وجد صداه في الأوساط المدنية عندما تم تعيين ما سمي ب " المجلس الاستشاري " الذي أسال لعاب القوى التقليدية في البلاد وخصوصا منها الأفارقة الزنوج الذين رفضوا شغل المناصب المخصصة لهم بحجة أنهم لم يمثلوا تمثيلا يليق بحجمهم العددي، ونتيجة لضعف حكومته لم يستطع ولد محمد السالك أن يفعل شيئا أمام تلك الأزمة التي انتهت بسقوطه. في حين اندلعت أحداث عنصرية قامت بتدبيرها وتغذيتها مجموعة من القوميين الزنوج، كانت الثانويات والإعداديات مسرحا لها في انواكشوط وبوكي وكيهيدي، واتسمت تلك المظاهرات بالعنف حيث استعمل المتظاهرون الحجارة، مما أدى إلى مقتل شخص واحد وجرح العديد بالإضافة إلى عدة خسائر مادية، وعندما تسلم أحمد ولد بسيف السلطة كان عليه أن يقوم بتهدئة الشارع الذي كان يغلي غليانا شديدا وقد أوحى إليه البعض من مستشاريه المدنيين من جماعته بأن جماعة الحركة الوطنية الديمقراطية وجماعة البعثيين هما مصدر القلاقل، والغريب في الأمر أن المتظاهرين كانوا من شباب الزنوج وحدهم وكانت مطالبهم معادية للغة العربية وللعرب عموما ، ومع ذلك أعطيت الأوامر باعتقال الجماعة التالية: محمدو الناجي ولد محمد ولد أحمد، سي ممدو، محمد يحظيه ولد ابريد الليل و ممد ولد أحمد، و المصطفى ولد بدر الدين مما يوحي بأن الأمر لايعدو كونه تصفية حسابات وليس له علاقة بأحداث الشارع.

علمت بقرار الاعتقال حوالي الساعة صفر من يوم 1979/04/09 وكان على رجال الشرطة أن ياتوا لاعتقالي أنا وزملائي حوالي الساعة الرابعة من صبيحة نفس اليوم، كنت وأصحابي على علاقة حميمة مع جماعة البعثيين في تلك الأيام، ولذلك قمنا بإشعارهم، كان ممد ولد أحمد يسكن في منزله في لكصر ولم يتطلب إيقاظه وقتا كبيرا كما لم يلبث أن غادر منزله ليختفي، أما محمد يحظيه الذي كان يسكن في داره كوزير فقد استغرق إيقاظه وقتا

أطول، غير أنه التحق في الوقت المناسب بممد ولد أحمد في مكانه السري، فيما عدى محمدوسي - الذي رفض الاختفاء - كانت الجماعة في أماكن آمنة عندما وصلت الشرطة لإلقاء القبض عليها، غير أن عملية بحث واسعة اشترك فيها الدرك والشرطة للعثور على" الهاربين" قد شنت لمدة شهر وتمثلت في تفتيش السيارات الخارجة من انواكشوط في جميع الاتجاهات، كما تمثلت في مراقبة جميع الأصدقاء والأقارب غير أنه لم تتم مضايقة أي منهم طوال فترة البحث، ظلت الجماعة طوال تلك الفترة موجودة في انواكشوط، وكنت مع محمدو الناجي نقيم مع ضابط في الجيش يعمل في قيادة الأركان، كان منزله يقع في مقاطعة الميناء " المقاطعة السادسة " يتكون المنزل من ثلاث غرف ومرافق يحيط بها سور طويل مزروع من فوق بشظايا زجاج وله باب من الحديد، كان المنزل مجهزا بكل ما يلزم، خصوصا الماء والكهرباء، كان الضابط أعزب وكان يعمل طول الليل وعندما يعود ياتي معه بالضروريات، وكان يقوم بنفسه بإعداد الطعام والشاي وكل شيء، كان هادئا قليل الكلام لاتفارق الابتسامة شفتيه، يتصرف بثقة توحي بعدم وجود أي خطر يهدد ضيوفه على عكس ما يتصوره الضيوف، فقد كنا ننتظر وخصوصا في الأيام الأولى أن تداهمنا الشرطة في ذلك المنزل الذي لانعرف عنه ولا عن صاحبه كثيرا.

كانت صلتنا بالضابط عن طريق صديق قديم عرض علينا خدماته ليلة صدور الأمر باعتقالنا فقبلنا ذلك العرض في انتظار أن يرتب أصدقاءنا أمورهم، فكان منزل الضابط إذن مرحلة انتقالية غير أن المقام بذلك المنزل قد طاب لنافبقينا فترة أطول من اللازم، كنا نخرج في المساء للتنزه والحضور لبعض الاجتماعات السرية، أما في النهارفلم نكن نرى الشمس مطلقا، نقلنا أصدقاؤنا إلى منزل آخر و جهزوه في نفس المقاطعة، ولكنه كان أقل راحة وأقل أمنا، فقد كان عبارة عن غرفتين من الزنك يحيط بهما حائط قليل الارتفاع ضيق المساحة خال من الماء والكهرباء، كانت فائدته الوحيدة أنه لايوحي بأي نوع من الحياة البشرية داخله، لكن من الواضح أن المقام به لايمكن أن يطول، ولذلك فقد تقررنقلنا إلى مكان آخرخارج البلاد، كان ذلك في نفس اليوم الذي سقطت فيه طائرة

المرحوم أحمد ولد بسيف في المحيط، عندما توقفت في المكان المتفق عليه سيارة رسمية تحمل إشارة سيارات الرئاسة دخلت فيها ورفيقي محمدو الناجي ولد محمد ولد أحمد وكان قائد السيارة هو المرحوم عبد القادر كمرا مستشار رئيس اللجنة العسكرية في تلك الفترة، انطلقت السيارة على طريق روصو وكانت نقاط التفتيش التي أقامتها الشرطة والدرك على طول الطريق لاتطلب منها التوقف، وعندما اقتربنا من تيكند كانت فرقة الدرك الموجودة هناك هي الوحيدة التي طلبت من السيارة أن تتوقف، غير أن عبد القادر أشار لهم بأن يفسحوا له الطريق رافضا التوقف، وبسرعة البرق انطلقت السيارة بعيدا فلم يستطع الدركي إلا أن يصفر، وصلنا إلى روصو في نفس اليوم حوالي الساعة الثانية عشر زوالا، حيث استرحنا لمدة 24 ساعة قبل أن نواصل طريقنا إلى السينغال، وكانت الرحلة في البداية سيرا على الأقدام لمدة ساعات على ضفة النهر في الجانب الموريتاني حيث كان العبور ليلا على قارب صغير إلى الضفة الأخرى، سرنا إلى مرفئ روصو سينغال حيث كانت بانتظارنا سيارة تاكسي جاهزة للانطلاق، عندما انطلقت السيارة على طريق دكار تنفسنا الصعداء حيث أحسسنا ولأول مرة منذ شهرين من اختفائنا بالأمن، غير أن المجهول الذي كنا نتجه إليه يكدر صفونا، متى ستدوم هذه الغيبة ومتى وكيف ستكون العودة ؟ وماهي الضيافة التي تنتظرنا ؟.

لم نكن نتوجه إلى بلد صديق فذلك أمر معروف، لأن نظام عبد جوف كان بالنسبة لنا جزءا من محور الرباط- باريس دكار المعادي، مرت الرحلة إلى دكار عموما بسلام، نزلنا في مسكن يقع في حي " ابكين" تسكنه أسرة سينغالية من الولف كثيرة العدد غير ميسورة الحال، وكان مضيفنا يستأجر بيتا من ذلك المنزل مليئا بالأثاث والكتب، سيئ الترتيب، لم نتمكن من الجلوس فيه إلا بصعوبة كبيرة، أما التمدد والاسترخاء فعمليتان تتطلبان إعادة تنظيم شاملة لمحتويات البيت وهو ما استغرق يوما كاملا لكي نتمكن من النوم في ليلتنا الثانية.

شعرت بالغربة الموحشة في تلك البلاد , وأنا أتجول في شوارعها وأتفحص المارة واستمع إلى أحاديثهم التي لا أفقه فيها شيئا، كنت أتجنب الموريتانيين كلما لاحوا في الشارع أمامي مع رغبتي الجامحة في التحدث إليهم باللهجة الحسانية التي مضت علي أيام وأنا لاأسمع من يتحدثها.

بعد أيام قام الرفاق بنقلنا إلى منزل آخر فسيح يقع في مدينة " كيجواي " على شاطئ المحيط الأطلسي، هنا في هذا المنزل ألقينا عصى الترحال وتهيأنا للبقاء وقتا طويلا، كان لدينا خادم وكنا مزودين بما يلزم، التحق بنا كل من محمد يحظيه ولد ابريد الليل ومحمد ولد أحمد في ذلك المنزل وبدأنا ننظم حياتنا.

كان يومنا يبدأ بجولة رياضية على شاطئ المحيط في الصباح الباكر يتلوها حمام بارد ثم طعام الإفطار بعد ذلك المطالعة، رغم قلة الكتب والمجلات العربية، فكان علي أنا ومحمدو الناجي أن نطالع بالفرنسية مع مايكلفنا ذلك من مشقة، بدأ محمد ولد أحمد يدون الأمثلة الحسانية، وكنا نقوم بمساعدته، وبعد الغداء كنا نستمع إلى الأنباء ثم نستريح و في المساء كنا نستقبل الزوار من أصدقائنا، وقد قام بزيارتنا في ذلك المكان المرحوم جدو ولد السالك قادما من انواكشوط، وقد حدثنا عن توتر الأوضاع في العاصمة، وعن اعتقالات قام بها محمد خونه ولد هيداله بعد تسلمه للسلطة، وكذلك حدثنا عن الحملة التي شنها على التسيب في الإدارة وعن النوايا التي يعلن عنها ضد الفساد واختلاس أموال الدولة.

كان هروب العقيد عبد القادر إلى المغرب، وهو الصديق الحميم لولد بسيف، برهانا قاطعا على أن اتجاه العودة إلى محور الرباط - باريس - دكار فقد السيطرةعلى الأمور في انواكشوط، غير أن شخصية ولد هيداله كانت مجهولة لدينا جميعا.

تواترت الأنباء من انواكشوط حول " النوايا الحسنة " لولد هيداله وجماعته المقربين منا، كما أشادت تلك الأنباء ببساطته وروحه الوطنية الفطرية، غير أن الأنباء تحدثت أيضا

عن معارضة قوية في أوساط الإدارة والمجتمع التقليدي لسياسات ولد هيداله وحكومته، كما تحدثت عن الحملة الدعائية ضده والتي تصفه بأنه موا ل " للبولـيزاريو " وأنـه جـاهل أحمـق، حتى أنهم أطلقوا عليه بالفرنسية لقب(Jean le fou) وبـالحسانية لقب (اشويدح)ورغم كل شيء فقد تمكن في وقت قصير من فرض الأمـن والنظـام في الشـارع، كمـا فـرض هيبـة الدولة التي تضررت كثيرا في الفترة السابقة (خصوصا فترة المصطفى ولد محمد السالك).

بعد الاطلاع على تلك الأنباء كنا نستمع إلى الإذاعة الوطنية بانتظام كأنما نتوقع نبأ سعيدا، وفعلا بمناسبة عيد العاشر يوليو من تلك السـنة 1979 ألقى ولـد هيداله أول خطـاب علـى الأمة أعلن فيه قرار العفو عنا، كنا في ذلك اليوم قد أكملنا ثلاثة أشهر مختفـين، ومـع أننـا لم نكن هذه المرة كالمرات السابقة في زنزانة أو تحت الإقامة المحروسـة، إلا أننـا كنـا في وضعيـة لاتقل عدم إنسانية عن تلك، حيث كنا في عداد المفقودين بلا أسماء وبلا عناوين.

الهوامش:

(1) - دورية أصدر أعدادها الأولى المرحوم سيد محمد ولد السعيدع في دكار، عندما كان طالبا، بالتعاون مع طـلاب آخرين من بينهم محمد ولد أحمد والطالب محمد، وقد توفي المرحوم سيدي محمد ولد السعيدع يوم 07 يناير 1971 إثر مـرض عضـال في أحد مستشفيات دكار، وقد ظل تاريخ وفاته ذكرى يحييها الكادحون لسنوات عديدة.

2(2) - "لحرور " لقب أطلق على العديد من من رجالات الدرك والشرطة بسبب استعمالهم لمادة " لحرور " الشطة لتعذيب سجنائهم بوضعها في المناطق الحساسة من الجسم (العينين ، الأنف ... إلخ).

التاريخ مجموعة وقائع وأحداث ذات صلة بالأوضاع السياسية لمجتمع ما خلال فترة زمنية محددة.

وصنعة التاريخ هم رجال استوعبوا روح عصرهم وعملوا بمقتضاه، فخلفوا بذلك بصماتهم على المسار التطوري لتلك المجتمعات عبر النضالات التي خاضوها ...فرسان حرية يقفون في خط النار ... شموع تحترق لتضيء الطريق للآخرين.

فحق لهؤلاء أن يوصفوا بالأبطال، وحق لتجاربهم أن تنقش في ذاكرة الأجيال كأمثلة تحتذى.